سلسلة في ظلال السنَّة

(الحديث السادس)

نوافذ على الغيب

الدكتور

الشيخ سالم بن عبد الغني الرافعي

٦

نوافذ على الغيب

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ**». قَالُوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**»(١).

هذا حديث عظيم عن رسول الله ﷺ، يبيّن فيه فضل الرؤيا الصالحة، وكونها من المبشّرات. ويُستحسن قبل البدء بشرح الحديث أن أبيّن الفترة الزمنية التي ورد فيها.

جَاءَ فِي بعض الروايات أَنَّ النبي ﷺ قَالَ ذَلِكَ فِي مَرَض مَوْته. وهي رواية ابن عبّاس «أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَشَفَ السِّتر وَرَأْسه مَعْصُوب فِي مَرَضه الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: **اللَّهم هل بلغت**، ثلاث مرات، **إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب التعبير: باب المبشرات برقم (٦٩٩٠).

مُبَشِّرَات النُّبُوَّة إِلاَّ الرُّؤْيَا يَرَاهَا العبدُ الصالح أَوْ تُرَى لَهُ»[(١)].

❋ ❋ ❋

شرح الحديث

قَوله ﷺ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّة إِلاَّ الْمُبَشِّرَات**».

المراد بهذه الجملة هو تشبيه المبشّرات بالنبوة، من جهة اشتراكهما في الاطلاع على بعض الغيب، وليس المراد أنّ هناك نبوّة باقية بعد نبوّة محمّد ﷺ.

وَيُؤَيِّدهُ حَدِيث أُمّ كُرْز الْكَعْبِيَّة رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْت النَّبِيّ ﷺ يَقُول: «**ذَهَبَتِ النُّبُوَّة وَبَقِيَتِ الْمُبَشِّرَات**»[(٢)].

فمعنى الحديث: أن الوحي ينقطع بموت النبي ﷺ، ولا يبقى بعده من الوسائل التي ينكشف بها بعض الغيب إلا المبشّرات.

---

(١) أخرجه مسلم في الصلاة: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود برقم (١١٠٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٨٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣١٤٤).

قال القرطبي رحمه الله: المسلم الصادق الصالح هو الذي يناسب حالُه حالَ الأنبياء، فأُكرم بنوع مما أُكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على الغيب. وأما الكافر والفاسق والمخلّط فلا، ولو صدقت رؤياهم أحياناً، فذاك كما قد يصدُق الكذوب. وليس كل من حدّث عن غيب يكون خبرُه من أجزاء النبوّة كالكاهن والمنجّم[١].

وفسّر النبي ﷺ المبشّرات هنا بالرؤيا الصالحة.

وهذا التفسير ليس من باب الحصر لها، إذ وردت وسائل أخرى ينكشف بها أيضاً بعض الغيب كالإلهام، إلا أنّها لا تقع إلا لخواصّ المؤمنين، فهي نادرة بالنسبة للرؤيا وانتشارها، لذلك خُصّت الرؤيا بالذكر على سبيل الأغلبية وليس الحصرية.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: الْحَصْر فِي الْمَنَام لِكَوْنِهِ يَشْمَل آحَاد الْمُؤْمِنِينَ، بِخِلَافِ الْإِلْهَام فَإِنَّهُ مُخْتَصّ بِالْبَعْضِ، وَمَعَ كَوْنه مُخْتَصًّا فَإِنَّهُ نَادِر، فَإِنَّمَا ذُكِرَ الْمَنَام لِشُمُولِهِ وَكَثْرَة وُقُوعه»[٢].

(١) فتح الباري (١٢/٣٦٢).
(٢) فتح الباري (١٢/٣٧٦).

وكذا إطلاق لفظ البشارة على الرؤيا الصالحة هو من باب الأغلب، فإن بعض الرؤى الصالحة لا تتضمن بشارة. قَالَ الْمُهَلَّب رحمه الله: التَّعْبِير بِالْمُبَشِّرَاتِ خَرَجَ لِلْأَغْلَبِ، فَإِنَّ مِن الرُّؤْيَا مَا تَكُون مُنْذِرَة، وَهِيَ صَادِقَة يُرِيهَا الله لِلْمُؤْمِنِ رِفْقاً بِهِ لِيَسْتَعِدّ لِمَا يَقَع قَبْل وُقُوعه[(١)].

❊ ❊ ❊ ❊

(١) فتح الباري (٣٧٥/١٢).

بيان المبشّرات

ذكرنا أن المبشّرات هي الوسائل التي ينكشف بها بعض الغيب، أو بتعبير آخر هي النوافذ التي يُطّلع من خلالها على بعض الغيوب.

ولا زال الناس منذ قديم الأزمان إلى أيامنا هذه يتشوّفون إلى معرفة الغيب، ويتطلّعون إلى الوسائل التي تمكّنهم من الاطّلاع على ما سيكون في المستقبل.

وقد جاء الإسلام، والعرب يتعاطَون الكهانة والتنجيم ونحوها من الوسائل، التي ظنّوا أنها توصلهم إلى معرفة المستقبل. فردّ النبي ﷺ كل الوسائل التي تعلقوا بها، وبيّن بطلانها وعدم جدواها. ثم دلّ أمّته على المبشّرات، التي تكشف لهم بعضَ الغيوب، فبيّنها لهم، حتى يميّزوا بين الحقّ والباطل، وبين ما يُضيء على بعض الغيب حقيقة، وبين ما هو مجرد دعوى لا تغني من الحق شيئاً.

لذلك أحببتُ في هذه الرسالة أن أسلّط الضوء على الوسائل التي ينكشف بها بعض الغيب حقيقة، والوسائل التي يتوهّم الناس فيها ذلك، وليست كذلك.

وسمّيتها: «نوافذ على الغيب»، وقسّمتها إلى قسمين: نوافذ صحيحة، ونوافذ باطلة.

واللهَ نسألُ أن يرزقنا السّداد في القول والعمل.

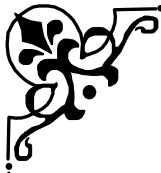

النوافذ الصحيحة

وقد سمّاها النبي ﷺ بالمبشّرات، وهي ثلاث:

الرؤيا الصالحة، والإلهام، والفراسة. وسوف أعرِض لكلّ واحدة منها بشيء من البيان والتفصيل بعون الله تعالى.

النافذة الأولى: الرؤيا الصالحة

تعريف الرؤيا:

الرؤيا هي ما يراه النائم، وهي مترادفة لمعنى الحُلم، في لغة العرب. وفرّق الشرع بينهما، فخصّ الرؤيا بما يكون من الله، والحُلم بما يكون من الشيطان.

قال التوربشتي: الحُلم عند العرب يستعمل استعمال الرؤيا، والتفريق بينها من الاصطلاحات التي سنَّها الشارع للفصل بين الحق والباطل، كأنه كره أن يسمّى ما كان من الله وما كان من الشيطان باسم واحد. فجعل الرؤيا عبارة عن الصالح منها، لما في الرؤيا من الدلالة على المشاهدة بالبصر أو البصيرة. وجعل الحُلم عبارة عما كان من الشيطان، لأن أصل الكلمة لم يستعمل إلا فيما يُخيّل للحالم في منامه من قضاء الشهوة مما لا حقيقة له[1].

---

(١) محاسن التأويل للقاسمي: تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ...﴾ الآية.

حقيقة الرؤيا:

قال ابن القيم رحمه الله في بيان حقيقة الرؤيا: الرؤيا أمثال مضروبة، يضربها المَلك الذي قد وكّله الله بالرؤيا، ليستدلّ الرائي بما ضُرب له من المثل على نظيره، ويعبُر منه إلى شِبهه، ولهذا سُمّي تأويلها تعبيراً، وهو تفعيل من العبور[١].

تعبير الرؤيا:

الرؤيا في الإسلام من أمور الدين، وقد عظّمها النبي ﷺ، وجعلها جزءاً من أجزاء النبوة. والمراد به، كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «تحقيق أمر الرؤيا، وأنّها ممّا كان الأنبياء عليه، وأنها جزء من أجزاء العلم الذي كان يأتيهم، والأنباء التي كان ينزل بها الوحي عليهم»[٢]. لذلك لا يجوز الاستهانة بها أو الإقدام على تفسيرها بغير علم.

وقد بيّن النبي ﷺ خطر الإقدام على تفسير الرؤيا من كل أحد، فقال: «**الرؤيا على رِجل طائر ما لم تُعبّر، فإذا عُبّرت وقعت. ولا تقصَّها إلا على وادٍّ أو ذي**

---

(١) إعلام الموقعين (١/١٩٥).

(٢) فتح الباري (١٢/٣٦٤).

رأي»[١]. قال النووي رحمه الله: «**الرؤيا على رِجل طائر**» أي: إذا كانت محتملة وجهين، ففسِّرت بأحدهما، وقعت على قرب تلك الصفة[٢]. وقال المناوي: «**الرؤيا على رِجل طائر**» أي: كشيء معلق برِجله لا استقرار لها ما لم تعبّر أي: تفسّر، «**فإذا عُبِّرت وقعت**» أي: يلحق الرائي والمَرئي له حكمُها، يريد أنها سريعة السقوط إذا عُبِّرت[٣].

«**ولا تقصَّها إلا على وادّ**» ـ بشدّ الدال ـ أي: لا تخبر بها إلا مُحبًّا، حتى لا يحمِله البغضُ على تفسيرها على الوجه المكروه. «**أو ذي رأي**» أي: صاحب علم بالتعبير، فإنه يخبرك بالمناسِب منها.

وقال ﷺ: «**إن الرؤيا تقع على ما تعبّر، ومثل ذلك مثل رَجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، فإذا رأى أحدُكم رؤيا فلا يحدّث بها إلا ناصحاً أو عالماً**»[٤].

قال الألباني رحمه الله: والحديث صريح بأن الرؤيا

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود برقم (٥٠٢٠).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/١٥).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٧٥/٢).

(٤) أخرجه الحاكم من حديث أنس، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (١٢٠).

تقع على مثل ما تعبّر، ولذلك أرشدنا رسول الله ﷺ إلى أن لا نقصّها إلا على ناصح أو عالم. لأن المفروض فيها أن يختار أحسنَ المعاني في تأويلها، فتقع على وِفق ذلك. لكن ممّا لا ريب فيه، أن ذلك مقيّد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا ولو على وجه، وليس خطأً محضاً، وإلا فلا تأثير له حينئذٍ، والله أعلم[١].

وسئل مالك رحمه الله: أيُعبّر الرؤيا كل أحد؟ فقال: أبالنّبوة يُلعب؟ وقال مالك رحمه الله: لا يعبّر الرؤيا إلا من يُحسنها، فإن رأى خيراً أخبر به، وإن رأى مكروهاً فليقل خيراً أو ليصمُت. قيل: فهل يُعبّرها على الخير وهي عنده على المكروه، لقول من قال: إنها على ما أُوّلت عليه؟ فقال: لا. ثم قال: الرؤيا جزءٌ من النّبوة فلا يُتلاعب بالنّبوة[٢].

قال ابن حجر رحمه الله في توضيح قول مالك الأخير رحمه الله: لم يُرد أنّها نبوّة باقية، وإنّما أراد أنّها لمّا أشبهَت النبوّة من جهة الاطلاع على بعض الغيب، لا ينبغي أن يُتكلم فيها بغير علم[٣].

---

(١) السلسلة الصحيحة (١١٩/١).
(٢) التمهيد لابن عبد البر (٢٨٨/١).
(٣) فتح الباري (٣٦٣/١٢).

أقسام الرؤيا

تنقسم الرؤى إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الرؤيا الصالحة، وهي: الرؤيا الصادقة التي تتحقق في الواقع أو تأتي مطابقة له. وهذه الرؤيا هي من الله، وغالباً ما تتضمّن بُشرى للعبد بخير سيصيبه في الدنيا أو في الآخرة. كما قد تتضمّن إنذاراً للعبد من أمر سوف يعرِض له حتى يستعدّ لتحمّله، أو تحذيراً له من شرٍّ قادم حتى لا يقع فيه. فهي في جميع أحوالها لطف من الله تعالى بعبده.

القسم الثاني: رؤيا لا حقيقة لها، بل هي أخلاط ومزيج من التناقضات، لذلك تسمّى أضغاثُ أحلام، أي: أخلاط غير متناسقة من الأحلام، وسمّاها النبي ﷺ الحُلم. وهي من الشيطان، يريد مِن ورائها تحزينَ الرائي أو تخويفه أو غير ذلك مما يكرهه الإنسان.

القسم الثالث: رؤيا لا حقيقة لها أيضاً، ولكنها تكون من حديث النفس، فالإنسان قد ينشغل باله ببعض الأشياء فينام وهو يفكر فيها، فيراها في منامه.

أدلة هذه الأقسام:

دلّ على الأقسام التي ذكرناها عدة أحاديث:

منها: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ، وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً. وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ. وَالرُّؤْيَا ثَلاَثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ، فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ**»[(١)].

وحديث عوف بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم. ومنها ما يهمّ به الرجل في يقظته فيراه في منامه. ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**»[(٢)].

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه مسلم في الرؤيا برقم (٦٠٤٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣١٥٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (٣٨٩٧).

آداب الرؤيا

للرؤيا آداب ينبغي مراعاتها، سواء ما تعلق منها بالرؤيا الصالحة أو بالرؤيا المكروهة. ويترتب على مراعاتها خير عظيم. أما الرؤيا الصالحة فيترتب على مراعاة آدابها تحققها من دون محاذير. وأما الرؤيا المكروهة فيترتب على مراعاة آدابها تعطيل مقصودها من التخويف والتحزين. لذلك ينبغي للعاقل معرفة هذه الآداب وممارستها.

آداب الرؤيا الصالحة:

١ ـ حمد الله عليها:

ودليله ما رواه البخاري عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا. وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ، فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ**»[١].

(١) أخرجه البخاري في التعبير برقم (٦٩٨٥).

٢ ـ التحدّث بها:

ودليله حديث أبي سعيد: «...**وليحدّث بها**...». إلا أن التحدّيث بها لا ينبغي أن يكون لكل أحد، بل ورد قصره في بعض الأحاديث على المُحبّ. ودليله ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سَلَمَةَ قال: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ أَبَا قَتَادَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: وَأَنَا كُنْتُ لأَرَى الرُّؤْيَا تُمْرِضُنِي، حَتَّى سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ مِنَ اللَّهِ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّثْ بِهِ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ. وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثاً وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا أَحَداً فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ**»[(١)].

والحكمة في ذلك ما أفاده ابن حجر: أنه إذا حدّث بالرؤيا الحسنة من لا يحبّ، قد يفسّرها له بما لا يحبّ، إما بغضاً وإما حسداً، فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجّل لنفسه من ذلك حزناً ونكداً، فأُمِر بترك تحديث من لا يحبّ بسبب ذلك[(٢)].

٣ ـ الاستبشار بها:

ودليله ما ورد في روايةٍ لحديث أبي قتادة السابق:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٠٤٤)، ومسلم في الرؤيا برقم (٦٠٤٠).

(٢) فتح الباري (٤٣١/١٢).

«. . . **فَإِنْ رَأَى رُؤْيَا حَسَنَةً فَلْيَبْشُرْ وَلاَ يُخْبِرْ إِلَّا مَنْ يُحِبُّ**»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: فحاصل ما ذُكر من أدب الرؤيا الصالحة ثلاثة أشياء: أن يحمد الله عليها، وأن يستبشر بها، وأن يتحدّث بها، لكن لمن يحب دون من يكره[٢].

آداب الرؤيا المكروهة:

١ ـ الاستعاذة من شرّها:

ودليله حديث أبي سعيد الخدري السابق، وفيه «. . . **وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا. . .**».

٢ ـ الاستعاذة من الشيطان:

دليل ذلك حديث أبي قتادة السابق، وفيه: «. . . **وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ. . .**».

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٠٣٩)، وقوله: «**فليبشر**»: هو من البشرى.

(٢) فتح الباري (٣٦٩/١٢).

٣ ـ التفل ثلاثاً:

ودليله حديث أبي قتادة وفيه: «. . . **وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَلْيَتْفِلْ ثَلَاثاً**. . .».

٤ ـ عدم التحدّث بها:

ودليله حديث أبي سعيد السابق وفيه: «. . . **وَلاَ يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ**. . .».

٥ ـ التحوّل عن جنبه:

ودليله ما رواه مسلم عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثاً، وَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثاً، ولْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**»[1].

٦ ـ الصلاة:

ودليله ما رواه مسلم عن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ تَكْذِبُ.**

(١) مسلم برقم (٦٠٤١).

وَأَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثاً. وَرُؤْيَا الْمُسْلِمِ جُزْءٌ مِنْ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبُوَّةِ. وَالرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: فَرُؤْيَا الصَّالِحَةِ بُشْرَى مِنَ اللَّهِ، وَرُؤْيَا تَحْزِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَرُؤْيَا مِمَّا يُحَدِّثُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ. فَإِنْ رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلَا يُحَدِّثْ بِهَا النَّاسَ»[1].

قال ابن حجر رحمه الله: وحاصل ما ذُكِر من أدب الرؤيا المكروهة أربعة أشياء: أن يتعوّذ بالله من شرّها، ومن شرّ الشيطان، وأن يتفل حين يهبّ من نومه عن يساره ثلاثاً، ولا يذكرها لأحدٍ أصلاً. ووقع عند المصنف ـ يعني البخاري ـ في باب القيد في المنام عن أبي هريرة خامسة، وهي: الصلاة، ولفظه: «**فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل**». لكن لم يصرّح البخاري بوصله وصرح به مسلم. وزاد مسلم سادسة: وهي التحوّل عن جنبه الذي كان عليه. ثم قال: ورأيت في بعض الشروح ذكر سابعة: وهي قراءة آية الكرسي، ولم يذكر لذلك مستنداً، فإن كان أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة: «**ولا يقربنّك شيطان**» فيتجه، وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة[2].

---

(١) سبق تخريجه في ص(٣٢٢).

(٢) فتح الباري (٣٦٩/١٢).

الحكمة من هذه الآداب:

قال ابن حجر رحمه الله: وقد ذكر العلماء حكمة هذه الأمور:

فأما الاستعاذة بالله من شرّها فواضح، وهي مشروعة عند كل أمر يُكره.

وأما الاستعاذة من الشيطان، فلِما وقع في بعض طرق الحديث أنّها منه، وأنه يُخيّل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه كما تقدّم.

وأما التفل، فقال عِياض: أُمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة، تحقيراً له واستقذاراً، وخُصّت به اليسار لأنّها محل الأقذار ونحوها. قلت: والتثليث للتأكيد.

قال النووي: وأما قوله: «**فإنها لا تضرّه**»، فمعناه: أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه المترتب على الرؤيا، كما جعل الصدقة وِقاية للمال. انتهى.

وأما الصلاة، فلما فيها من التوجّه إلى الله واللجأ إليه، ولأن في التحرّم بها عصمة من الأسوأ، وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة، لقرب المصلي من ربّه عند سجوده. **وأما التحوّل،** فللتفاؤل بتحوّل تلك الحال التي كان عليها.

قال النووي: وينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمّنته؛ فإن اقتصر على بعضها أجزأه في دفع ضررها بإذن الله تعالى، كما صرّحت به الأحاديث. قلت: لم أرَ في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة، نعم أشار المهلّب إلى أن الاستعاذة كافية في دفع شرّها، وكأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾، فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجّه ولا يكفي إمرار الاستعاذة باللسان.

وقال القرطبي في المفهم: الصلاة تجمع ذلك كله، لأنه إذا قام فصلَّى، تحوّل عن جنبه، وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء، واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه، فيكفيه الله شرّها بمنّه وكرمه.

وورد في صفة التعوّذ من شرّ الرؤيا أثر صحيح، أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد الرزاق بأسانيد صحيحة عن إبراهيم النخعي قال: «**إذا رأى أحدكم في منامه ما يكره فليقل إذا استيقظ: أعوذ بما عاذت به ملائكة الله ورسله من شرّ رؤياي هذه أن يصيبني فيها ما أكره في ديني ودنياي**». وورد في الاستعاذة من التهويل في المنام ما أخرجه مالك قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال: يا رسول الله إني أرَوّع في المنام؟ فقال:

«**قل: أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ غضبه وعذابه وشرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون**». وأخرجه النسائي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان خالد بن الوليد يفزّع في منامه فذكر نحوه، وزاد في أوله: «**إذا اضطجعت فقل: باسم الله...**» فذكره، وأصله عند أبي داود والترمذي وحسنه، والحاكم وصحّحه.

وأما كتمها مع أنها قد تكون صادقة، فخفيت حكمته. ويحتمل أن يكون لمخافة تعجيل اشتغال سرّ الرائي بمكروه تفسيرها، لأنها قد تبطئ، فإذا لم يخبر بها زال تعجيل رَوعها وتخويفها، ويبقى إذا لم يُعبّرها له أحد بين الطمع في أنّ لها تفسيراً حسناً أو الرجاء في أنها من الأضغاث، فيكون ذلك أسكن لنفسه. واستدل بقوله: «**ولا يذكرها**» على أن الرؤيا تقع على ما يعبّر به. واستدلّ به على أن للوهم تأثيراً في النفوس، لأن التفل وما ذكر معه، يدفع الوهم الذي يقع في النفس من الرؤيا، فلو لم يكن للوهم تأثير لما أرشد إلى ما يدفعه، وكذا في النهي عن التحديث بما يكره لمن يكره، والأمر بالتحديث بما يحبّ لمن يحبّ[1].

(١) فتح الباري (١٢/٣٧٠).

النافذة الثانية:
الإلهام

تعريف الإلهام ودليله:

الإلهام: هو خاطر يقذِفه الله تعالى في قلب عبده المؤمن، فيقع الأمر وِفق هذا الخاطر.

أو بتعبير آخر: هو أمر من الغيب يكشفه الله تعالى لبعض عباده تكريماً لهم.

والأصل فيه ما رواه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإن يكن في أمّتي منهم أحدٌ فإنّه عمر**»[(١)].

والمحدّثون في هذا الحديث هم: المُلهَمون، كما بيّن أهل العلم.

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب عمر برقم (٣٤٨٦) من حديث أبي هريرة، ومسلم برقم (٦٣٥٧) من حديث عائشة.

قال ابن حجر رحمه الله: قوله: «**محدَّثون**» ـ بفتح الدال ـ جمع محدَّث، واختلف في تأويله، فقيل: ملهَم، قاله الأكثر. قالوا: المحدّث: هو الرجل الصادق الظنّ، وهو من أُلقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدّثه غيره به، وبهذا جزم أبو أحمد العسكري[١].

وقال الخطّابي: الملهَم الذي يُلقى الشيء في روعه، فكأنه قد حُدّث به. يَظنّ فيصيب، ويخطر الشيء بباله فيكون، وهي منزلة جليلة من منازل الأولياء[٢].

شرح الحديث:

قبل أن أضرب بعض الأمثلة التي توضّح معنى الإلهام، يجدر بنا التعريج على معنى قول النبي ﷺ: «**فإن يكن في أمتي منهم أحدٌ فإنه عمر**».

بعض الناس ظنّ أن الحديث لم يقطع بوجود مُلهَمين في هذه الأمة، بل حمل الكلام على

(١) فتح الباري (٧/٥٠).

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٢٣/٤٨٠).

التشكيك. أي يمكن أن يوجد في أمة محمد ﷺ ناسٌ محدّثون، ويمكن أن لا يوجد. لكن جمهور العلماء قالوا: ليس في الحديث تشكيك بل تأكيد، فأمّة محمّد ﷺ هي أفضل الأمم، فإذا وُجد محدّثون وملهَمون في الأمم السابقة، فمن باب أولى وجودهم في هذه الأمة. وقوله: «**إن يكن في أمتي منهم أحدٌ فهو عمر**»، قالوا: ليس هو من باب الترديد والتشكيك، بل هو كما يقول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، فإنه لا ينفي الأصدقاء عن نفسه، بل يبيّن أن فلاناً يختصّ بكمال صداقته.

فالنبي ﷺ لم يشكّك بوجود ملهَمين في أمّته، بل أثبت وجودهم، ثم بيّن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يختصّ من بينهم بكمال الإلهام.

وقد ورد حديث آخر يؤكد إلهام عمر وكماله، وذلك في قول النبي ﷺ: «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر، وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم (٢٩٠٨).

أمثلة الإلهام

ولنأتِ الآن إلى ضرب بعض الأمثلة التي توضّح معنى الإلهام، حتى لا يختلط الإلهام في الأفهام بوسواس الشيطان أو بحديث النفس.

المثال الأول:

حديث رواه البخاري رضي الله عنه في صحيحه عن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنهما قال: «لما حضر أُحُدٌ دعاني أبي من الليل، فقال: ما أُراني إلا مقتولاً في أوّل من يُقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غير نفسِ رسول الله؛ فإنّ علي ديناً فاقضِ، واستوصِ بأخواتِك خيراً. فأصبحنا، فكان أَوّل قتيل»[1]. أي: لما حضرت غزوة أحد، دعا عبدُ الله بن عمرو بن حرام ابنَه جابراً في جوف الليل، وكان قد أُلهم أنه سيُستشهد في هذه الغزوة، بل سيكون أوّل من يستشهد فيها. فأحبّ أن يُطلع ابنَه على ما وقع في حدسه من إلهام. ثم أوصاه بدَينه وبأخواته البنات، وكان له سبع بنات. فلما كان الغدُ وقع الأمر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٥١).

وِفق ما أُلهمَه عبد الله تماماً، فكان أوّل قتيل بين الصحابة في غزوة أحد.

ويتجلى في هذا الحديث حبّ الصحابة للنبي ﷺ، وذلك حين آثر عبدُ الله النبيَّ ﷺ في المحبة على كل أحد وحتى على ابنه، فقال له: «وإني لا أترك بعدي أعزّ عليّ منك غيرَ نفسِ رسول الله». فانظر مدى إيمانهم وصدقهم وإخلاصهم رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم.

ومن هذا الأثر يتّضح لنا معنى الإلهام؛ فعبد الله وقع في نفسه أنه سوف يُقتل في غزوة أحد، بل سيكون أول المقتولين، ووقع الأمر تماماً كما وقع في نفسه.

لذلك إذا قرأنا سِيَر أهل العلم، نجد أن كثيراً من علماء الإسلام قد توقّعوا دنوّ آجالهم، ووقع الأمر على ما توقعوا، كما حصل للإمام الغزالي رحمة الله عليه وغيره كثير من العلماء، وهذا كله يدخل في باب الإلهام. والله تعالى أعلم.

المثال الثاني:

حديث رواه البيهقي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحَلَنِي جَدادَ عِشْرِينَ وَسْقاً مِنْ مَالِهِ؛ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ جَلَسَ فَاحْتَبَى ثُمَّ تَشَهَّدَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ؛ أَي بُنَيَّةُ، إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ

إِلَيّ غِنًى بَعْدِي لأَنْتِ، وَإِنِّي كُنْتُ نَحَلْتُكَ جَدَادَ عِشْرِينَ وَسْقاً مِنْ مَالِي، فَوَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنَكَ كُنْتِ حُزْتِيهِ وَاجْتَدَدْتِيهِ، وَلَكِنْ إِنَّمَا هُوَ الْيَوْمَ مَالُ الْوَارِثِ، وَإِنَّمَا هُوَ أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، هَذِهِ أَسْمَاءُ فَمَنِ الأُخْرَى؟ قَالَ: ذو بَطْنِ ابْنَةِ خَارِجَةَ، أُرَاهُ جَارِيَةً. قَالَتْ: فَقُلْتُ: لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا لَرَدَدْتُهُ إِلَيْكَ»[1].

والمراد بهذا الأثر: أن أبا بكر رضي الله عنه كان قد وهب ابنته عائشة رضي الله عنها عشرين وسقاً من ثمار أرض له؛ إلا أن عائشة رضي الله عنها توانَت عن قطافها حتى حضرته الوفاة، فقال لها عندها: يا بنيّتي، والله ما من أحد من الناس بعدي أحب إلي غنًى منك، أي: جعل هذا الكلام الطيّب كمقدّمة لما سيطلبه منها، ثم بيّن لها أنها لو قطفت العشرين وسقاً قبل نزول الموت به لكانت ملكها اليوم، لأن الهبة لا تملك إلا بالقبض. فلما تأخّرت عن قبضها حتى نزل به الموت، صار المالُ من حق جميع الورثة، وليس له أن يفضّل ولداً على الآخر. ثم ذكر لها تطييباً لخاطرها، أن هديتها تلك لن تذهب لأحدٍ غريب، بل سترجع عليها وعلى

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (١٢٣٦٢).

إخوتها. وهنا الشاهد من هذا الأثر: أنه حين ذكر إخوتها قال لها: وإنما هما أخواك وأختاك. فتعجّبت عائشة رضي الله عنها، لأنه ليس لها إلا أخَوان وأخت واحدة، وهي أسماء، فمن أين جاءت الثانية؟ فذكر لها أن زوجته الجديدة، وهي حبيبة بنت خارجة بن زيد، حامل منه، وأنه يظن أنها حامل ببنت وليس بصبي، وأن هذه البنت سيكون لها بالتالي نصيب من تركته. فلما مات ولدت زوجته حبيبة وجاءت ببنت كما توقّع، وسمّتها عائشة أمّ كلثوم.

المثال الثالث:

حديث رواه أيضاً البيهقي، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن عمر بعث جيشاً وأمّر عليهم رجلاً يدعى سارية. وبينما عمر رضي الله عنه يخطب، جعل يصيح: يا ساريةُ الجبلَ. فقدِم رسولٌ من الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدوّنا فهزمونا، فإذا صائح يصيح: يا ساريةُ الجبلَ، فأسندنا ظهورَنا إلى الجبل فهزمهم الله. فقلنا لعمر: كنت تصيح بذلك[1].

ففي هذا الأثر: أن عمر بن الخطاب رضي الله

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٨٦/٧) برقم (٢٦٥٥)، وصحح أصله الألباني في الصحيحة برقم (١١١٠).

عنه أرسل جيشاً لقتال العدوّ، فتمكّن الأعداء من هزيمة المسلمين، ثم لحقوا بهم يوسعونهم فتكاً وتقتيلاً؛ وكان على مقرُبةٍ منهم جبل، لو انحازوا إليه لأمّنوا ظهرهم، واجتمع بعضهم إلى بعض، ولم يتمكن منهم عدوهم هذا التمكّن، ولكنهم لم ينتبهوا إلى هذه الخطة بسبب هَول ما جرى عليهم؛ فهنا ألقى الله تعالى في روع عمر، وهو قائم يخطب على المنبر في المسجد النبوي، أن المشركين هزموا جيش المسلمين، وأن المسلمين يمرّون بجبل، وأنّهم إن عدلوا إليه قاتلوا من وجهٍ واحد، وإن جازوا هلكوا، فجعل عمر ينادي سارية، من وراء الفيافي والقفار، حتى ينحاز بجنوده إلى الجبل. وأسمع الله تعالى جيش المسلمين نداءَ عمر، فعملوا بنصيحته، وفتح الله عليهم. ففي هذا الأثر ظهرت كرامتان لعمر؛ الأولى: بما وقع في خلده من الإلهام الصادق، والأخرى: بإيصال ندائه إلى جيش المسلمين على بُعد المسافة بينهما.

قال الشيخ الألباني رحمه الله: وممّا لا شك فيه أن النداء المذكور إنما كان إلهاماً من الله تعالى لعمر. وليس ذلك بغريبٍ عنه، فإنه «محدّث» كما ثبت عن النبي ﷺ. ولكن ليس فيه أن عمر كُشِف له حالُ الجيش، وأنه رآهم رأيَ العين. فاستدلال بعض المتصوّفة بذلك على ما يزعمونه من الكشف للأولياء،

وعلى إمكان اطلاعهم على ما في القلوب، من أبطل الباطل. كيف لا، وذلك من صفات رب العالمين، المنفرد بعلم الغيب، والاطلاع على ما في الصدور. وليت شعري كيف يزعم هؤلاء ذلك الزعم الباطل، والله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾، فهل يعتقدون أن أولئك الأولياء رسل من رسل الله حتى يصح أن يقال: إنهم يطلعون على الغيب باطلاع الله إياهم!! سبحانك هذا بهتان عظيم. على أنه لو صح تسمية ما وقع لعمر رضي الله عنه كشفاً، فهو من الأمور الخارقة للعادة التي قد تقع من الكافر أيضاً، فليس مجرد صدور مثله بالذي يدل على إيمان الذي صدر منه، فضلاً على أنه يدل على ولايته. ولذلك يقول العلماء: إن الخارق للعادة إن صدر من مسلم فهو كرامة وإلا فهو استدراج.

ويضربون على هذا مثل الخوارق التي تقع على يد الدجال الأكبر في آخر الزمان، كقوله للسماء: أمطري، فتمطر، وللأرض: أنبتي نباتك، فتنبت، وغير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة[1].

(١) السلسلة الصحيحة (٣/١٨٤).

النافذة الثالثة:
الفراسة

تعريف الفراسة:

قال ابن القيّم رحمه الله: الفِراسة: هي نورٌ يقذفه الله في قلب عبده المؤمن، يُفرّق به بين الحق والباطل، والصادق والكاذب[١].

وقال المباركفوري: الفراسة ـ بالكسر ـ اسم من قولك: تفرّست في فلان الخير. وهي هنا: ما يوقعه الله في قلوب أوليائه، فيعلمون به أحوال الناس بنوع من الكرامات، وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت.

وقال المناوي: هي إطلاعه على ما في الضمائر بسواطع أنوار أشرقت على قلبه فتجلّت له بها الحقائق[٢].

---

(١) مدارج السالكين (١/١٤٩).

(٢) تحفة الأحوذي (٨/٤٤١).

دليل الفراسة:

الأصل في الفراسة: حديث أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»، ثم قرأ: «﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾»[(١)].

ويشهد لهذا الحديث: حديث آخر رواه أبو الشيخ والطبراني عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم**»[(٢)] والتوسم: هو الفراسة.

إذاً الفراسة نور من الله سبحانه وتعالى، يخصّ به عباده المؤمنين. ويستطيع المؤمن من خلال هذا النور أن

---

(١) أخرجه الترمذي واستغربه، وضعّفه ابن الجوزي في الموضوعات (٣١٤٦/٣) والسّخاوي في المقاصد الحسنة (٥٩/١) كما ضعّفه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٣١٢٧). ورواه الطبراني من حديث أبي أمامة، وحسّن إسناده الهيثمي في المجمع برقم (١٧٩٤٠)، كما حسّنه السيوطي في اللآلئ المصنوعة (٢٧٩/٢).

(٢) رواه أبو الشيخ في عواليه، والطبراني في الأوسط، وحسّنه الألباني في الصحيحة برقم (١٦٩٣).

يميّز بين الإنسان الصادق والكاذب. وأحياناً يقوى هذا النور عند المؤمن حتى يطلع على ما هو أعمق من ذلك، وهذا هو معنى الحديث: «**إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم**».

ويُستدل للفراسة أيضاً بما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»[1]، أي: إذا تقرّب العبد من الله تعالى بالطاعات والنوافل أحبّه الله. فإذا أحبّه، صار العبد يسمع بنور الله، ويبصر بنور الله، أي: يجلّي الله تعالى له الأشياء حتى يراها على حقيقتها، وهذه هي الفراسة.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٥٠٢).

شرح حديث الفراسة:

بعد أن بيّنا حديث الفراسة، يجدُر بنا التعريج على شرحه، عسى أن يتّضح به معنى الفراسة أكثر فأكثر.

حديث: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»، قال ابن القيّم رحمه الله: الفراسة الصادقة تكون لقلب قد تطهّر، وتصفّى، وتنزّه من الأدناس، وقرُب من الله، فهو ينظر بنور الله الذي جعله في قلبه. فهذه الفراسة نشأت له بسبب قربه من الله، فإن القلب إذا قرب من الله، انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وإدراكه، وكان تلقّيه من مشكاة قريبة من الله، بحسب قربه منه، وأضاء له النور بقدر قربه، فرأى في ذلك النور ما لم يره البعيد والمحجوب[١].

ومعنى «**اتقوا فراسة المؤمن**» أي: احذروا إضمارَ شيء من النيّات السيّئة، لأن المؤمن كامل الإيمان يطلع بنور إيمانه، الذي ميّزه الله به عن عوامّ المؤمنين، على بعض ما في الضمائر والنيّات، فتُفتضحوا عنده، وربما ساءه ما رأى فغار على حرمة الحق فمقتكم، فيمقتكم الله لمقت وليّه.

---

(١) الروح (٢٣٨/١) بتصرف يسير.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾»[١]. والمتوسّمون، قال مجاهد في تفسيرها: المتوسّمون: هم المتفرّسون، أي: أصحاب الفراسة. وقال ابن القيم: المتوسّمون: هم المتفرسون الذين يأخذون بالسّيما، وهي العلامة[٢]. وقد جعل الله للصالحين سيما وللفاجرين سيما، أي: جعل لكل واحد منهما علامة يُعرف بها. وهذه العلامة قد تكون في ملامح وجهه، أو تكون في كلامه ومنطقه.

وقد يقول قائل: إنا لننظر في وجوه الناس، ونسمع أحاديثهم ومنطقهم، فلا يتبين لنا شيء مما في نفوسهم؟ والجواب: أن الفراسة لا يدركها كل الناس، بل هي درجة لا يدركها إلا من عمّر قلبه بذكر الله.

قال أبو الفوارس الكرماني: من غضّ بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمّر باطنَه بدوام المراقبة، وظاهرَه باتباع السنَّةِ، وعوّد نفسه أكل الحلال، لم تخطئ له فراسة.

كانَ رَقيباً مِنكَ يَرعَى خواطِري
وآخرُ يَرعَى نَاظِرِي ولساني

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٥.
(٢) بدائع الفوائد (٦٣٦/٣).

فما نَظرَت عيناي بعدك منظراً
لعمرك إلَّا قُلتُ: قَد رمقاني
وَلا بَدَرَت مِن فِيَّ بَعدَكَ لَفظَةً
لِغيرِكَ إلَّا قُلتُ: قَد سمعاني
وَلا خَطَرَت فِي ذِكرِ غيرِكَ خَطرَة
على القَلبِ إلَّا عَرجَا بعنان
وَفتيان صِدقٍ قد سمِعتُ كَلامَهُم
وعُفِّفَ عَنهُم خاطِري وجِناني
وَما الدَّهرُ أَسلا عنهُم غيرَ أَنَني
أَراكَ على كل الجهاتِ تراني[1]

ووصف الله تعالى أصحاب النبي ﷺ ورضي الله تعالى عنهم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾[2].

سيماهم أي: علامتهم، وهي نور يجعله الله تعالى في وجوههم يوم القيامة، وحُسنُ سَمتٍ يعلو وجوهَهم وجباهم في الدنيا، من أثر كثرة سجودهم وطاعتهم لله

(١) مواعظ ابن الجوزي (١/١٥).
(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

رب العالمين. ففي الآية بيان أن الوَضاءة والإِشراق والصفاء يعلو وجوههم من كثرة الصلاة والعبادة لله، وليس المقصود أن هناك علامة معيّنة ـ كالدائرة التي تكون في الوجه ـ كما قد يتبادر إلى بعض الأذهان. واختار سبحانه لفظ السجود، لأنه يمثّل أعلى درجات العبودية والإِخلاص لله تعالى[١].

قال بعض السلف: «من كثرت صلاتُه بالليل حسُن وجهه بالنهار»[٢]، أي: الإنسان إذا كان في الليل كثير الصلاة، كثير الذكر، خاشعاً لله، ظهر أثر ذلك ضياءً على وجهه في النهار.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «إن للحسنة نوراً في القلب، وضياءً في الوجه، وسعةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الناس»[٣]. أي: الإنسان إذا عمل الحسنات وثابر عليها تركت آثارها نوراً في قلبه، تقوى

(١) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي.

(٢) دخل ثابت بن موسى الزاهد على شريك القاضي، وكان شريك رجلاً مزّاحاً، وثابت رجلاً صالحاً، فلما نظر شريك إلى ثابت قال يباسطه: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار. تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٣١٧/٣).

(٣) مدارج السالكين (٤٢٤/١).

به بصيرتُه وفراستُه، وضياءً في وجهه، وسعة في رزقه، ومحبة له في قلوب الناس.

وكذلك من يعمل السيئات تظهر ملامحها على وجهه. قال الله تعالى في بيان المنافقين: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾(١).

قال ابن كثير رحمه الله: أيعتقد المنافقون أنّ الله لا يكشف أمرهم لعباده المؤمنين؟ بل سيوضّح أمرهم ويجلّيه حتى يفهمه ذوو البصائر. وقد أنزل تعالى في ذلك سورة «براءة»، فبيّن فيها فضائحهم وما يعتمدونه من الأفعال الدالة على نفاقهم؛ ولهذا إنما كانت تسمّى الفاضحة. والأضغان: جمع ضِغن، وهو ما في النفوس من الحسد والحقد للإسلام وأهله والقائمين بنصره.

وقوله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ﴾ يقول تعالى: ولو نشاء يا محمّد لأريناك أشخاصهم، فتعرفهم عياناً، ولكن لم يفعل تعالى ذلك في جميع المنافقين ستراً منه على خلقه، وحملاً للأمور على ظاهر السّلامة، وردّ السرائر إلى عالمها.

(١) سورة محمد، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.

﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ أي: فيما يبدو من كلامهم الدالّ على مقاصدهم، يفهم المتكلم من أي الحزبين هو بمعاني كلامه وفحواه، وهو المراد من لحن القول؛ كما قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ما أسرّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه. انتهى.

وفي الحديث الذي رواه أحمد عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن أحدكم يعمل في صخرة صمّاء ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله للناس كائناً ما كان**»(١).

وكيف يخرج عمله للناس؟ أي: تظهر آثار عمله، فإن كان عملاً صالحاً ظهرت آثاره: نوراً في وجهه، ومحبة في قلوب الناس. وإن كان عملاً سيئاً ظهرت آثاره أيضاً: اكفهراراً في وجهه، ونفوراً منه في قلوب الناس، فيرى أن الناس يبغضونه وينفرون منه مع أنهم لم يطّلعوا على عمله السيئ، ولكن جعل الله تلك الآثار عقوبة له على عمله السيئ.

---

(١) قال الهيثمي في المجمع برقم (١٧٦٧٩): رواه أحمد وأبو يعلى وإسنادهما حسن.
وضعّفه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (١٠٢٦٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «إن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، ووهناً في البدن، ونقصاً في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق»[١].

وكان بعض السلف يقول: كنت أبيتُ على معصية الله، فأجد أثر ذلك في خلق زوجتي ودابتي. أي: عندما يستيقظ يرى أثر معصيته في خلق زوجته، تبرّماً منه وضيقاً به وبطلباته، وإن لم تعلم بمعصيته، ويرى في دابّته نفوراً منه وعدم سلاسة في انقيادها له.

وفي ختام شرح الحديث أعرّج على سؤال مهم، وهو: حين ذكر النبي ﷺ قوله: «**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**»، قرأ قوله تعالى: «﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾». وبيّنا أن المتوسمين هم أصحاب الفراسة، وسياق هذه الآية جاء في القرآن الكريم بعد ذكر قوم لوط وإهلاك الله لهم، فيكون معنى الآية: إن فيما ذكر من إهلاك قوم لوط لآيات للمتوسمين، أي: لعبرة لأصحاب الفراسة. والسؤال الآن: ما وجه الارتباط بين الفراسة والاعتبار بهلاك الأمم؟ قال ابن تيمية رحمه الله في جوابه: «مَن اعْتَبَرَ بِمَا عَاقَبَ اللَّهُ بِهِ

(١) هو تتمة الأثر الذي سبق تخريجه آنفاً.

غَيْرَهُ مِنْ أَهْلِ الْفَوَاحِشِ كَانَ مِن الْمُتَوَسِّمِينَ. وَأَخْبَرَ تَعَالَى عَن اللُّوطِيَّةِ أَنَّهُ طَمَسَ أَبْصَارَهُمْ، فَكَانَتْ عُقُوبَةُ أَهْلِ الْفَوَاحِشِ طَمْسَ الْأَبْصَارِ، كَمَا قَدْ عُرِفَ ذَلِكَ فِيهِمْ وَشُوهِدَ مِنْهُمْ، وَكَانَ ثَوَابُ الْمُعْتَبِرِينَ بِهِمْ التَّارِكِينَ لِأَفْعَالِهِمْ إعْطَاءَ الْأَنْوَارِ»[1]، أي: ومن جملة الأنوار التي يعطونها: الفراسة.

❋ ❋ ❋

أمثلة الفراسة

والآن آتي إلى بعض الأمثلة في الفراسة لتتضح صورتها أكثر بعون الله تعالى:

المثال الأول:

روى الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾، والتي قالت: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾، وأبو بكر حين تفرّس في عمر رضي الله

(١) مجموع الفتاوى (١٥/٣٩٩).

عنهما»[١]، أي: أقوى الناس فراسة في نظر ابن مسعود هم ثلاثة؛ الأول: عزيز مصر حين نظر إلى يوسف عليه السلام فتفرّس فيه الخير، فأمر امرأته أن تكرمه. والثاني: ابنة شعيب عليه السلام حين نظرت إلى موسى عليه السلام، وأشارت على أبيها أن يستأجره، حيث تفرّست فيه القوّة والأمانة. والثالث: أبو بكر حين استخلف على المسلمين من بعده عمر، بعد أن تفرّس فيه أهليّته لذلك.

المثال الثاني:

حديث رواه الترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ. فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استثبتّ وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. وكان أول شيء تكلم به أن قال: «**أيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام**»[٢]. فهذا أحد علماء اليهود، وكان

(١) أخرجه الحاكم برقم (٣٣٢٠) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الترمذي وصححه، وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٤٨٥).

يبحث عن الحق، فلما بلغه مقدَم النبي ﷺ إلى المدينة جاءه ليستبين أمره، أصادق هو أم كاذب؟ فلما تأمّل في وجهه عرف أنه صادق، وهذا من حسن فراسته. وكان النبي ﷺ أنور الوجه، تشرق فيه مخايل الصدق، حتى قال الشاعر في وصفه:

لو لم تأت فيه آيات مبينة
لكانت بديهته تأتيك بالخبر

المثال الثالث:

قال إبراهيم الخوّاص: كنت في الجامع، فأقبل شاب طيّب الرائحة، حسن الوجه، حسن الحرمة، فقلت لأصحابنا: يقع لي أنه يهودي، فكلهم كره ذلك. فخرجت وخرج الشاب ثم رجع إليهم، فقال: إيش قال الشيخ؟ فاحتشموه، فألحّ عليهم، فقالوا: قال: إنك يهودي. فجاء فأكبّ على يدي فأسلم، فقلت: ما السبب؟ فقال: نجد في كتابنا أن الصدّيق لا تخطئ فراسته، فقلت: أمتحِن المسلمين، فتأمّلتهم، فقلت: إن كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة، فلبّست عليكم، فلما اطّلع هذا الشيخ علي وتفرّسني علمت أنه صدّيق.

المثال الرابع:

دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه رجل من

الصحابة، وكان قد رأى امرأة في الطريق فتأمّل محاسنها؛ فقال له عثمان: يدخل علي أحدُكم وأثر الزنا ظاهر على عينيه. فقال الصحابي: أوحي بعد رسول الله؟ فقال عثمان: لا، ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة.

ذكر هذين المثلين ابن القيم رحمه الله، وقال: فهذا شأن الفراسة، وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له، وينفذ إلى العين فيرى ما لا يراه غيره[١].

(١) الروح (١/٢٤٠).

النوافذ الباطلة

قد بيّنا النوافذ التي اعترف بها الإسلام، وهي: الرؤيا الصادقة، والإلهام، والفراسة. والآن نبيّن بعون الله تعالى نوافذ أخرى على الغيب، ولكن لم يعترف بها الإسلام، ولم يقرّها، بل نهى عنها وأبطلها وبيّن عدم جدواها. وهي نوافذ كثيرة، ويتعاطى بها الناس كثيراً في أيامنا هذه، وأقتصر في هذه العجالة على ذكر أخطرها.

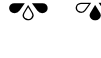

النافذة الأولى: الكَهانة

تعريف الكهانة:

قال ابن حجر رحمه الله: «الكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادّعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب. والأصل فيه استراق الجنّي السمع من كلام الملائكة فيُلقيه في أذن الكاهن»[1].

وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب، لانقطاع النبوّة فيهم. وكان للكاهن عندهم شأنٌ عظيم، إذ كان يخبِرُهُم ببعض الغيوب ويصدُق أحياناً بكلامه، لذلك كان العرب يعظّمونه ويُعطونه أموالهم، كما كانوا يرجعون إليه عند الاختلاف فيما بينهم، فكان يقضي بينهم ويحُلّ مشاكلهم.

---

(١) فتح الباري (٢١٦/١٠).

ولما جاء الإسلام، سأل الصحابةُ النبيَّ عليه الصلاة والسلام عن حال هؤلاء الكُهّان، فكشف ﷺ لهم حقيقة أمرهم.

ففي حديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سأل أناسٌ رسول الله ﷺ عن الكُهان، فقال: «**إنهم ليسوا بشيء**». فقالوا: يا رسول الله، فإنهم أحياناً يُحدّثون بالشيء يكون حقًّا؟ قال: «**تلك الكلمةُ من الحقّ يخطَفُها الجنيُّ فيقُرُّها في أُذُنِ وليّهِ فيخلطون معها مائةَ كذبةٍ**»(١).

أي: لما سأل الصحابة النبي ﷺ عن الكُهان صغّر أمرهم وأبطله. فتعجّب الصحابة من إصابتهم في بعض التنبؤات أحياناً، فقالوا: يا رسول الله، تقول بأن أمرهم باطل، ولكنهم كانوا أحياناً يحدّثوننا عن أمور مستقبلية فتقع كما حدّثوا بها؟ فعندها كشف لهم النبي عليه الصلاة والسلام حقيقة أمرهم، وبيّن لهم أن الكُهّان يستعينون بالجنّ، وأن الجنّ يتنصّتون على كلام الملائكة، فتصل إلى أسماعهم من حديث الملائكة بعض الأمور الغيبية، فيُبلّغها الجنّ لأوليائهم من الإنس، وهم الكُهّان، فيخلط الكُهّان مع الخبر الغيبي الصحيح

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٤٢٩)، ومسلم برقم (٥٩٥٣).

مائة خبرٍ كاذب، ثم يبلّغون جميع هذه الأخبار للنّاس، فيصدُقون في شيء ويكذبون فيما سواه. لذلك أبطل النبيّ ﷺ أمرَهم، لأنّ الخبر الصحيح الذي يصل إلى أسماع الناس نادرٌ، ومختلط بأخبار كاذبة كثيرة، بحيث لا يمكن تمييزُه عنها، فبطل بالتالي مجال الاستفادة من أخبارهم بشيء.

كيف يستمع الجنّ للملأ الأعلى؟:

أما كيفية استماعهم للملأ الأعلى، فقد بيّنه عليه الصلاة والسلام في حديث رواه مسلم في صحيحه؛ فروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أَخْبَرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِي ﷺ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَّهُمْ بَيْنَمَا هُمْ جُلُوسٌ لَيْلَةً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رُمِي بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا رُمِيَ بِمِثْلِ هَذَا؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، كُنَّا نَقُولُ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ عَظِيمٌ، وَمَاتَ رَجُلٌ عَظِيمٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَإِنَّهَا لاَ يُرْمَى بِهَا لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ إِذَا قَضَى أَمْراً سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ، ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ السَّمَاءِ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حَتَّى يَبْلُغَ التَّسْبِيحُ أَهْلَ هَذِهِ السَّمَاءِ**

الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ الَّذِينَ يَلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ فَيُخْبِرُونَهُمْ مَاذَا قَالَ. قَالَ: فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ بَعْضاً حَتَّى يَبْلُغَ الْخَبَرُ هَذِهِ السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَتَخْطَفُ الْجِنُّ السَّمْعَ فَيَقْذِفُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ، وَيُرْمَوْنَ بِهِ[1]. **فَمَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ يَقْرِفُونَ فِيهِ**[2] **وَيَزِيدُونَ**»[3]، أي: حين يصل الخبر الغيبي إلى الملائكة في السماء الدنيا، تتمكّن الجنّ عندها من استراق السمع منهم، فيُخبرون به أولياءهم من الإنس، وهم الكهّان، فتُرمى عندها الجنّ الذين استرقوا السمع بالشهُب ليُمنعوا من الاستماع، بعد أن يكون الكهّان قد ظفروا منهم ببعض الأخبار الغيبية. غير أن الكهّان لا يقتصرون على ما سمعوا من الجنّ، بل يقرفون فيه ويزيدون، أي: يخلطون معه الكذب، ويزيدون من عندهم أخباراً كاذبة ما سمعوها من الجنّ.

---

(١) «**يرمون به**»، أي: بالشهاب.

(٢) «**يقرفون**»: يكذبون فيه.

(٣) مسلم: باب تحريم الكهانة برقم (٥٩٥٥).

فهكذا كان الحال في الجاهلية، أي: قبل بعثة النبي ﷺ. وأما بعد بعثته فقد تغيّر الحال، إذ حرَس الله سبحانه وتعالى السماء من الجنّ، فلا يصلون إلى ما كانوا يصلون إليه من قبل.

لماذا هذا الاحتياط؟:

والسرّ في حراسة السماء: أن الوحي لما بدأ ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام، أراد الله تعالى أن يحرس السماء بالشّهب، حتى لا تسمع الجنّ شيئاً من الوحي، فتُلقيه في أذُن الكهّان، فيُخبرون به الناس، فيختلط الأمر عليهم، ويظنون أنّ القرآن هو من جنس الكهانة التي كانوا يتعاطونها في الجاهلية.

والدليل على هذه المسألة: ما رواه البخاري ومسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ؛ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ. فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ. قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ

السَّمَاءِ؟ فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهْوَ بِنَخْلَةَ، عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهْوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ. فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ. فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الْجِنِّ[1].

ففي هذا الحديث، يخبرنا ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي عليه الصلاة والسلام انطلق مع أصحابه إلى سوق عُكاظ، وكان ذلك في أول البِعثة. وعُكاظ: هو موضع بين مكة والطائف، يجتمع فيه العرب، ويتبارزون في الشعر والخطابة وغيرها. فالنبي عليه الصلاة والسلام كان متجهاً مع أصحابه إلى سوق عُكاظ، ليرى قبائل العرب ويبلغهم القرآن الكريم، وفي تلك الأثناء كانت الجنّ قد مُنعت من استراق السّمع، فأيّما جنّي أراد الاستماع يُرمى بشهاب قاتل؛ فتحيّرت الجنّ أو الشياطين، وهم مَرَدَة الجنّ، في الأمر، وبدأت تبحث عن سبب هذا التغيير الذي لم يكن من قبل.

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٧٣)، ومسلم برقم (١٠٣٤).

ولما رجعت الجنّ إلى قومهم، قالوا لهم: ما لكم؟ فأجابوا بأنه حيل بينهم وبين خبر السماء، وأن الشّهب قد أرسلت عليهم. فقال بعضهم لبعض: ما ذاك إلا لأمر قد حدث، فاضربوا في مشارق الأرض ومغاربها وابحثوا عن السبب الذي مُنعنا من أجله من استراق السمع.

فانطلق النفر الذي توجهوا نحوَ تهامة ـ أي في الحجاز ـ، فمرّوا بالرسول عليه الصلاة والسلام وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر في بطن نخلة. فلما سمعوا القرآن الكريم يُتلى لفت انتباههم، فأصغَوا إلى تلاوته. فما إن قُضيت تلاوتُه حتى آمنوا به، وأدركوا أن نزوله هو السبب في حراسة السماء. فرجعوا إلى قومهم ودعوهم إلى الإسلام.

والنبيّ عليه الصلاة والسلام أثناء صلاته لم يشعر بوجود الجنّ حوله، ولا باستماعهم لقراءته حتى أوحى الله تعالى إليه بذلك في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾[1].

فهؤلاء النّفر من الجنّ أسلموا، ثم دَعَوا قومهم

(١) سورة الجن، الآيتان: ١ ـ ٢.

إلى الإسلام. وقال الله تعالى مخبراً عنهم أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾[1].

أي: قصدنا السماء كعادتنا، فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً، أي: ملائكة أقوياء يحرُسونها، وشهباً ناريّة يُرمى بها كلُ مسترِق للسّمع منّا. وقالوا: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ أي: قبل البعثة النبوية كنا نتخذ من السماء ﴿مَقَٰعِدَ﴾ أي: أماكن معيّنة لهم ﴿لِلسَّمْعِ﴾ أي: لأجل استماع الأخبار من ملائكة السماء الدنيا. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾، أي: تغيّر الحال بعد البعثة، فصار يُرمى كلُّ مستمِع منّا بشهاب أُرصد له خاصة، فيحرقه أو يخبله.

إذاً بعد بعثة النبي شُدّد في الأمر، ومُنع الجنّ من مقاعدهم التي كانوا يجلسون فيها بكل راحة، وأُرسلت عليهم الشّهب لتحرقهم. كلّ ذلك احتياطاً للقرآن الكريم، حتى لا يسترِقوا منه كلمة، فيُلقونها إلى الكهنة الإنسيين، ويصبح الكاهن يتكلم بالقرآن مثل النبيّ ﷺ، فيختلط الأمر على الناس، فلا يميّزون بين النبيّ الصادق وبين

(١) سورة الجن، الآيتان: ٨ ـ ٩.

الكاهن الكاذب. لذلك حمى الله تعالى القرآن الكريم، والوحيَ الذي ينزل على النبي ﷺ من أن يسمعَه الجنّ.

تبرئة الله لوحيه من رجس الكهانة:

كانت الكهانة منتشرة في العرب قبل الإسلام. ولما ابتدأ نزول الوحي على النبي ﷺ، بدأ المشركون يروّجون ويُشيعون بين الناس: أن ما ينزل على النبي ﷺ من الوحي، هو من جنس ما يتلقاه الكهّان عن شياطينهم الذين يسترقون لهم السمع من الملائكة. فردّ الله تعالى عليهم فِريَتهم تلك بقوله: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾[1]، أي: إن الشياطين لمعزولون عن استماع الوحي عزلة تامة. ولما وصف المشركون الرسول ﷺ بأنه كاهن، قال تعالى رداً عليهم: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾[2]، أي: هذا القرآن هو وحي من الله تعالى صادق، لا تعتريه أكاذيب الكهّان، ولا صلة له بالشياطين.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٠ ـ ٢١٢.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٤٠ ـ ٤٣.

وبيّن الله تعالى في آية أخرى كيف يُحرسُ القرآنُ الكريم بالملائكة أثناء تبليغ الوحي للنبي ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

أي: هو عالم الغيب وحده فلا يُطلع على غيبه أحداً من عباده، إلا من ارتضى من رسول، أي: رَضِيَه ليُبلّغ عنه، فإنه يُطلعه مع الاحتياط الكافي، حتى لا يتسرّب الخبر الغيبي إلى الناس. لذلك يجعل من أمام الرسول المرتضى، ومن خلفه، حرساً من الملائكة، ليمنعوا الجن من استماع الوحي. وذلك ليعلم الرسول ﷺ أن الرسل قبله قد بلغت رسالات ربها بما أحاطها تعالى به من العناية، وأحاط الله جل جلاله بما لدى الملائكة والرسل علماً، وأحصى الله عدد كل شيء، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

إذاً؛ تغير الحال بعد بعثة النبي ﷺ، ولم يعد بإمكان الجنّ الوصول إلى ما كانوا يصلون إليه من قبل.

❋ ❋ ❋

(١) سورة الجن، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

انحسار الكهانة بعد البعثة النبوية

بعد كل ما ذكر بقي سؤال مهم، وله تعلق في أيامنا هذه، وهو: هل يمكن للجنّ بعد انقضاء الوحي ونزوله، أن يخطفوا كلمة من الغيب مما سيجري في المستقبل؟ والجواب: أن هذا ممكن، وقد صرّح به طائفة من أهل العلم، منهم: الحافظ ابن حجر رحمه الله، فقال: وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب، لانقطاع النبوّة فيهم؛ وهي على أصناف، منها: ما يتلقونه من الجنّ، فإن الجنّ كانوا يصعدون إلى جهة السماء، فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام، فيُلقيه إلى الذي يليه، إلى أن يتلقاه من يُلقيه في أذن الكاهن فيزيد فيه.

فلما جاء الإسلام ونزل القرآن، حُرست السّماء من الشياطين وأُرسلت عليهم الشهُب، فبقي من استراقهم: ما يتخطّفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يُصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾. وكانت إصابة الكهّان قبل الإسلام كثيرة جدًّا، كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً

حتى كاد يضمحل، ولله الحمد[١].

إذاً؛ انحسرت الكهانة بعد بعثة النبي ﷺ، وندرت، وكادت تضمحل، ولكنها لم تتلاشَ كليًّا.

والدليل على بقائها على نُدرة: قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾[٢].

فيخبر تعالى أنه زيّن السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بِزِينَةٍ الْكَوَاكِب؛ فالكواكب السيّارة والثوابت يثقب ضوؤها جُرم السماء الشفاف، فتضيء لأهل الأرض. وقوله هاهنا: ﴿وَحِفْظًا﴾ تقديره: وحفظناها حفظاً. ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾، يعني: المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه. ولهذا قال: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ أي: لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره.

---

(١) فتح الباري (٢١٧/١٠).

(٢) سورة الصافات، الآيات: ٦ ـ ١٠.

ولهذا قال: ﴿وَيَقْذِفُونَ﴾ أي: يُرمون ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ أي: من كل جهة يقصدون السماء منها. ﴿دُحُورًا﴾ أي: رجماً يُدحرون به ويُزجرون، ويُمنعون من الوصول إلى ذلك. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ أي: في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر. وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ أي: إلا من اختطف من الشياطين الخَطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربّما أدركه الشّهاب قبل أن يُلقيها، وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يَأتيَه الشهاب فيحرقه، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن، ولهذا قال: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ أي: مستنير[1].

إذاً؛ الجني قد يختطف الكلمة ويلقيها إلى الكاهن، قبل أن يدركه الشهاب فيحرقه.

وقد بيّن النبي ﷺ كيفية هذه الخَطفة، في حديث رواه البخاري عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأَمْرَ فِي السَّمَاءِ، ضَرَبَتِ الْمَلاَئِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَاناً لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى**

(١) تفسير ابن كثير.

صَفْوَانٍ. فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ. فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ ـ وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ فَحَرَفَهَا وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ـ **فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ، فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ ثُمَّ يُلْقِيهَا الآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ. فَرُبَّمَا أَدْرَكَه الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»**[1]، أي: إن الكاهن الذي استطاع أن يلتقط كلمة صحيحة، يخبر معها مائة كذبة. ولكنّ الناس عندما تسمع ما تنبّأ به الكاهن من أنه سيحدث هذه السنة كذا وكذا، وتكون كلها كذباً إلا واحدة، فالناس تصدّقه بسبب هذه الكلمة الصحيحة.

وممّا يُستدل به أيضاً لهذه المسألة: ما رواه ابن حبان في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم وتحته عشر نسوة. فقال له رسول الله ﷺ: «**اختر منهن أربعاً**». فلما كان في عهد

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٨٠٠).

عمر طلق نساءه، وقسم ماله بين بنيه. فبلغ ذلك عمر فلقيَه، فقال: إني أظنّ الشيطان، فيما يسترق من السمع، سمع بموتك فقذفه في نفسك، ولعلك أن لا تمكث إلا قليلاً. وأيمُ الله لتردنّ نساءك، ولترجعنّ في مالك، أو لأورثهنّ منك، ولآمرنّ بقبرك، فيُرجم كما رُجم قبرُ أبي رغال[1].

فعمر رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ، قال لغيلان الثقفي حين طلق نساءه الأربعة: أظنّ أن لديك اتصالاً بالجنّ، فأخبروك من خلال استراقهم لكلام الملائكة بدنوّ أجلك، فطلقت نساءك لذلك، حتى تحرمَهم من الميراث. وأمره بردهنّ.

فكلام عمر لغيلان يدل على إمكانية استراق الشياطين للسمع، بعد وفاة النبي ﷺ، وإن كان على نُدرة كما سبق وبيّنّا.

❋ ❋ ❋

(١) صحيح ابن حبان برقم (٤١٦٥).

الشياطين بين مرحلتي
ما قبل البعثة النبوية وما بعدها

ذكرنا أن الشياطين كانت تستطيع استراق السمع قبل البعثة النبوية، وأنّها لم تزل قادرة على استراق السمع حتى بعد البعثة النبوية، فما الذي تغيّر بالنسبة إليهم.

والجواب: أنه تغيّر أمر كبير، فالجنّ قبل البعثة كانوا يتّخذون مقاعد لهم في السماء وهم مطمئنون، لا يُحرقون ولا تُرسل عليهم الشُّهب إلا نادراً. أما بعد البعثة فقد ضاقت عليهم مقاعدهم من هَول كثرة الشهب. لذلك انتشر قبل البعثة نقل الغيبيات من قِبَل الكهان، وأما بعد البعثة فصار قليلاً نادراً.

وفرق آخر وهو: أن الجنّ قبل البعثة كانوا يستمعون ولا يُحرقون إلا نادراً. وأما بعد البعثة فلا بدّ أن يحترق الجنّي الذي تنصّت على كلام الملائكة، سواءً تمكّن من إلقاء ما سمعه إلى الكاهن أم لم يتمكّن.

❋ ❋ ❋

السرّ من وراء مخاطرة الشياطين بحياتها

لما أدركت الشياطين أن مسترق السمع منهم، بعد بعثته ﷺ، لا بدّ أن يحترق بشهاب، فلماذا بَقوا يخاطرون بحياتهم من أجل كلمة يُلقونها إلى الكهان؟ والجواب: أن الجنّ هم خلق من خلق الله مكلفون مثلنا بالشرائع. ورسولنا ﷺ مبعوث بالرسالة إلى الإنس والجن. فالجنّ مكلفون مثلنا، وفيهم جنّ مسلمون صادقون، وفيهم كفرة كاذبون. قال تعالى إخباراً عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[1]. والجنّ الكفار أقسام شأنُهم شأن الإنس في ذلك. فمنهم كفار لا يحاربون الدين، ومنهم كفار ليس لهم شغل إلا محاربة الإسلام والمسلمين، وهؤلاء الذين نسمّيهم بالشياطين. وهؤلاء الشياطين، بسبب بغضهم لله ورسوله، مستعدون للتضحية بحياتهم من أجل كلمة يُضلون بها الناس. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا

(١) سورة الجن، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

وكيف يُستغرب فعلُ هذا من شياطين الجنّ، ونحن نرى شياطين الإنس في العالم المتحضّر، كيف يُضحّون بأنفسهم من أجل حرب الإسلام. فها هم جنودُهم يتركون بلادهم بجمالها وزخارفها ولهوها ورخائها، ويقطعون آلاف الأميال إلى أفغانستان والعراق والصومال وغيرها من بلاد الإسلام، ويضحون بأنفسهم، كل ذلك من أجل محاربة الإسلام.

والأمر الأعجب من هذا؛ أن كثيراً من هؤلاء الغربيين لا يؤمنون بالله، ولا يرجون آخرة، ولا جنّة، ولا نعيماً أبديًّا، بل يعتقدون أن الموت هو نهاية الحياة، ومع هذا تراهم يُضحّون بما هم فيه من نعيم دنيوي لِلا شيء. في حين أنك تجد المؤمنين الذين يُصدّقون بالجنّة ونعيمها، يجبُنون في الدّفاع عن دينهم وبلادهم ومقدّساتهم، زاهدين بما أعدّ الله للمجاهدين من نعيم أخروي، ومتعلقين بعيش دنيوي، لا يُقارَن بعيش الكفار، ولا يوازيه في الرّخاء والدّعة.

❋ ❋ ❋

(١) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

السرّ من وراء تعاون الكُهّان الإنسيين مع الشياطين

إذا فهمنا السبب الذي يدفع الشياطين إلى المخاطرة بحياتها، بقي علينا أن نعرف السبب الذي يدفع الكاهن إلى التعاون مع الشياطين.

الكاهن يريد من الناس أن تعظّمه وتقدّره وتُغدق عليه من أموالها. وانظر إلى هؤلاء الذين يخرجون على الفضائيات في آخر السنة الميلادية، ويتنبأون للناس، كم يُشاهدهم من الملايين، وكم يَجنون من الأموال والشهرة، بسبب تلك التنبؤات، فالكاهن الإنسي يفعل ذلك طمعاً بالمال والشهرة.

وحتى لا يخطر بالبال أن الكاهن الإنسي هو فقط ذلك الذي يخرج على الفضائيات ليتنبأ للناس، وهو لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر؛ بل قد نجد الكاهن شيخاً يدّعي الإيمان، ويلبَس للناس لباس أهل العلم، ويتكلم بلسانهم، ويُخبر ببعض الغيبيّات، حتى يظنّ الناس أنها كرامة من كراماته، وهي لا تعدو أن تكون خبراً أتاه من خلال اتصاله بالجنّ.

فهؤلاء المشايخ يندرجون في جملة الكُهّان، ولا يختلفون عنهم إلا بزَعمهم أنّ ما جرى على ألسنتهم من

تنبؤات لم يكن عن طريق الجنّ، بل بما فتح الله على بصائرهم إكراماً منه لهم، بسبب تقواهم وصلاحهم.

❋ ❋ ❋

الفرق بين الشيخ الوليّ والشيخ الكاهن

نحن لا ننكر كرامات الأولياء، ولا ما يمنّ الله به عليهم من خوارق العادات أو تنبؤات صادقة، عن طريق النوافذ الشرعية التي بيّناها. ولكن لا نُسلم أنّ كل من ادّعى الولاية كان وليًّا، بل منهم أولياء صادقون، ومنهم كهّان يزعمون أنهم أولياء وليسوا كذلك.

لذلك كان من العلم النافع معرفة العلامات التي تميّز بين الوليّ الحق وبين الكاهن الكاذب. وهذه العلامات كثيرة، ويمكننا الاقتصار على ذكر أهمها:

العلامة الأولى:

الوليّ الحق لا بدّ أن يكون متبعاً للكتاب والسنة، في أقواله وأفعاله، وبسبب التزامه بالكتاب والسنَّة، نال تلك الدرجة عند الله تعالى. بخلاف الكاهن الذي يلتزم بما تُمليه عليه شياطينه من الجنّ من معاصي وفواحش. ومن خلال الاطلاع على سيرة الشيخ وتتبع أقواله وأفعاله، يستطيع العاقل أن يميّز بينهما.

إذاً؛ أول علامة للشيخ الوليّ أنه متّبع للكتاب والسنَّة. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى يبيّن لنا في هذه الآية الكريمة صفة الأولياء الصالحين، وأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون، أي: أنّ من أخصّ صفاتهم الإيمان بالله واليوم الآخر، ثم تحلّيهم بالتقوى، فلا يقولون أو يفعلون ما يُغضب الله أو يسخطه. كما بيّن ما وعدهم به في الدنيا والآخرة من البشرى. فما هي هذه البشرى؟:

بشرى الأولياء:

أما بشراهم في الآخرة، فهي: تنزّل الملائكة عليهم عند موتهم تبشّرهم بالجنة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]؛ فهذه بشارة تأتيهم

(١) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

بها الملائكة عند الموت، وهي أولى بشارات الآخرة. ثم تأتيهم بِشارة أخرى عندما يبعثون من قبورهم، إذ تبشرهم الملائكة بوعد الله لهم بالجنة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1]؛ فهذه بعض بشراهم في الآخرة.

أما بشراهم في الدنيا، فقد بيّنها النبيّ عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الترمذي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، قال: «**هي الرؤيا الصالحة يَراها المؤمن أو تُرى له**»[2].

ففسّر النبيّ ﷺ البشرى في الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة. والرؤيا الصالحة فيها كشف لبعض الغيب أحياناً كما سبق وبيّنا.

إذاً أول علامات الشيخ الوليّ أنه متّبع للكتاب

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ ـ ١٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي وحسنه، كما صححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٢٧٥).

والسنَّة، وأما الشيخ الكاهن، فلا بدّ أن يكون في أقواله أو أفعاله ما هو إثم أو فجور.

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾[1].

فالآية الكريمة نزلت ردًّا على المشركين، في دعواهم أنّ ما يأتي النبي ﷺ من الوحي، هو من جنس ما يأتي الكهّان مما تسترقه لهم الشياطين من السمع.

فردّ الله تعالى عليهم هذه الفرية، مبيّناً صفة الكهّان الذين تتنزّل عليهم الشياطين أنّهم: كلُ أفّاك أثيم، أي: كل كذّاب فاجر. فالشياطين لا تتعاون إلا مع من هم على شاكلتهم في الصفة، ممن يفترون الكذب، ويقعون في المعاصي والفواحش. وهذه الأوصاف لا تنطبق بحال على رسوله محمد ﷺ، الذي اعترفوا له هم بالصدق والأمانة والعِفّة والطهارة.

العلامة الثانية:

أن الشيخ الكاهن مقصودُه الأكبر هو: تعظيم الناس له، وبه يستولي بعد ذلك على أفكارهم وأموالهم

(١) سورة الشعراء الآيات: ٢٢١ ـ ٢٢٣.

وأعراضهم، لذلك يحرص الكاهنُ كل الحرص على انتشار ذكره بين الناس، وأنه يتنبّأ بالغيب، ويشفي المرضى، وغير ذلك من كراماته المزعومة، حتى يتسنّى له تحقيق مقصوده.

والشياطين تُعينه في هذا الباب بُغيةَ إضلال الناس به. فالناس إذا اعتقدت في شيخ أنه مبارك، وأنه وليّ صالح، عظّمته ورفعته وغَلَت به، حتى يصل التعظيم أحياناً إلى درجة إشراكه مع الله في الاعتقاد بأنّه يعلم الغيب، والتعظيم لشأنه، ثم السجود له، والاستغاثة به عند الملمّات. فهذا هو مراد الشياطين، أن يكفر الناس، ويُشركوا بالله عزّ وجلّ، من خلال الغلوّ في تعظيم الأشخاص، وإضفاء صفة الألوهية عليهم.

والشياطين لا تكتفي في إعانة الكهّان باستراق السمع لهم؛ بل قد تُعينهم بوسائل أخرى من أجل ترويج أمرهم على الناس، كأن تُجري بعض الخوارق على أيديهم، أو تُظهر قدرتهم على الشفاء.

والدليل على هذه المسألة: حديث رواه أبو داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قالت: رأى عبد الله في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا؟ فقلت: خيط رُقِيَ لي فيه. قالت: فأخذه فقطعه، ثم قال: أنتم آلُ عبد الله لأغنياء عن الشرك. سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «**إن الرُّقى والتمائم والتِّولة شرك**». فقلت: لم تقول هكذا؟ لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقاها سكنت. فقال عبدالله: إنما ذلكِ عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقي كفّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي، كما كان رسول الله ﷺ يقول: «**أذهبِ البأسَ ربّ الناس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً**»(١).

ففي هذا الحديث دخل ابن مسعود على زوجته زينب، فوجد في عنقها خيطاً؛ فلما سألها عنه، بيّنت أنّه من الرقية، فأنكر عليها زوجها، وذكر لها ما سمعه من رسول الله ﷺ: «**إنّ الرقى والتمائم والتولة شرك**». والرُّقى في هذا الحديث، يُراد بها الرّقى التي تشتمل على الاستعاذة بالجنّ، أو غيرها من صُوَر الإشراك بالله، أو تشتمل على أمور مجهولة لا يُدرى ما هي، فهذه هي الرّقى المحرّمة. وأما الرّقية بالقرآن وبالأذكار والأدعية المُباحة فلا بأس بها. ولهذا قال ﷺ: «**لا بأس بالرّقى ما لم تكن شركاً**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه، وصحّحه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود برقم (٣٨٨٣).

(٢) أخرجه أبو داود عن عوف بن مالك قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله، كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرضوا علي**=

والتمائم: جمع تميمة، وأصلها خَرَزات تعلقها العرب على رأس الولد لدفع العين، ثم توسّعوا فيها فسمّوا بها كل عُوذة. ومن ذلك تعليق نعل الفرس أو الخرز الأزرق وغيره. والتّوَلة: هي شيء من السحر، يكون به تحبيب المرأة إلى زوجها، أو تحبيب الرجل إلى زوجته، وكل هذا من عمل الشيطان، وهو لا يسوغ ولا يجوز.

فتعجّبت زينب امرأة ابن مسعود من إنكار زوجها عليها ما فعلته من الرّقية، مع أنها جرّبت بنفسها انتفاعَها برُقية اليهودي لعينها؛ فقالت له: والله لقد كانت عيني تقذف، فكنت أختلف إلى فلان اليهودي فيرقيَها، فإذا رقاها سكنت. تعني: أنه كان يخرج الدمع من عينها، أو تخرج أشياء من عينها، فيرقيها اليهودي، فتهدأ عينُها وتستريح. فقال لها عبد الله رضي الله عنه: إنما ذاكِ عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاكِ سكنتْ. أي: شفاء عينك لم يكن بسبب رقية اليهودي لها، ولكن بحيلة من الشيطان؛ إذ كان يؤذي عينك حتى تقذف ما تقذفه، فإذا رقاك اليهودي أوقف الشيطان عندها إيذاء

= **رقاكم لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً**»، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٨٨٦).

عينك، لتعتقدي أن رُقية اليهودي نافعة، فيستدرج الناس بهذه الحيلة إلى تعظيم اليهودي والافتتان به. ثم قال لها: إنما كان يكفيك، أن تقولي كما كان يقول رسول الله ﷺ: «**أذهبِ البأس رب الناس اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاءً لا يغادر سقماً**».

إذاً؛ من أخصّ صفات الكاهن: الحرص على انتشار ذكره، حتى يتحقق مقصودُه. لذلك تجده يصرّح بين الناس، بأن الله يُجري على يديه الخوارق، ويُكرمه بكذا وكذا من عجائب الأمور.

وأما الوليّ الحق، فإنه لا يصرّح بكراماته، ولا يفاخر بها بين الناس؛ بل إذا أكرمه الله تعالى بكرامة، تراه يستتر من ظهورها أشدّ الاستتار، حتى لا يداخله العُجب أو الرّياء أو السمعة، فتفسد ما بينه وبين الله تعالى من قرب ووصال.

وقد ذمّ الله تعالى اليهود والنصارى، حين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وزعموا أنهم أولياء لله من دون الناس، فقال تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾[1].

(١) سورة النساء، الآيتان: ٤٩ ـ ٥٠.

وممّا جاء في استتار الأولياء عند ظهور كراماتهم: ما رواه الامام مسلم في صحيحه: «عن أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ»**، فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ. قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، قَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا**

بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ». فَأَتَى أُوَيْساً فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بِسَفَرٍ صَالِحٍ فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ. فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. قَالَ أُسَيْرٌ: وَكَسَوْتُهُ بُرْدَةً فَكَانَ كُلَّمَا رَآهُ إِنْسَانٌ قَالَ: مِنْ أَيْنَ لأُوَيْسٍ هَذِهِ الْبُرْدَةُ!»[1].

ففي هذا الحديث أن عمر رضي الله عنه في زمن خلافته، كان إذا أتاه أمدادُ أهل اليمن سألهم هل فيكم أويس بن عامر؟ والأمداد ـ جمع مَدد ـ وهم: جماعة من المجاهدين، كانوا يأتون المدينة المنوّرة من كل أنحاء البلاد الإسلامية، لينضمّوا إلى الجيوش الإسلامية الفاتحة. فكان عمر رضي الله عنه كلما جاءه مدد من اليمن، سألهم: هل فيكم رجل اسمه أويس بن عامر؟ حتى جاء مدد فيهم أويس بن عامر. فلما قابله عمر، أراد أن يستثبت من اسمه، واسم قبيلته، فتبيّن له أنه: أويس بن عامر، من قبيلة مراد، من بطن فيها اسمه قرن. وأنه كان به برص فشفاه الله منه إلا موضعاً صغيراً

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٦٥٦).

بحجم الدرهم، بقي ليتذكر ما كان به من داء فيحمد الله على عافيته. وأنّ له والدة، كان يبالغ في بِرّها والإحسان إليها. وأنه لو أقسم على الله بأمر، لأبرّه الله بأن يعطيَه ما سأل. كذا وصفه النبي ﷺ لأصحابه، ووصاهم إذا التقوا به أن يستغفر لهم، لما له عند الله من فضل وإجابة الدعاء.

ثم سأله عمر عن وِجهته، فذكر أنّها الكوفة. فعَرَض عليه عمر أن يكتب له إلى أميرها كي يهتمّ به. فأبى أويس، وأحبّ أن يبقى في غبراء الناس، أي: مع ضعفائهم وفقرائهم وأخلاطهم الذين لا يؤبَه لهم.

فلما كان العام المقبل، حجّ رجل من أشراف أهل اليمن؛ فلقيَه عمر فسأله عن أويس، فذكر له بأنّه يعيش في فقر شديد. فأخبره عمر بما بيّن النبي ﷺ من فضله. فلما رجع الشريف اليمني إلى بلده، حرص على أن يلتقي بأويس، رجاءَ أن يدعو له بالمغفرة. فلما لقيَه وسأله أن يستغفر له، استغرب أويس من سؤاله، خاصة أنه قادم لتَوّه من سفر صالح، ويعني به الحج، فهو أولى أن يدعو له بالمغفرة.

فلمّا أعاد عليه الشريف اليمني الطلب، فطِن لها أويس، وسأله إن كان التقى بعمر في سفرته تلك. فلما

أجابه بالإيجاب، أدرك أويس أن عمر ينشر فضله بين الناس. فلما رأى أن ذكره بدأ يشيع بين الناس، اختفى عن أعينهم حتى لا يعلم به أحد.

فهذا رجل من أولياء الله الصالحين، له كرامات عظيمة، منها أنه مجابُ الدعوة، فما إن عُرفت كراماتُه حتى استتر منها بالفرار، ولم يجلس للناس يفتخر عليهم بتعداد كراماته.

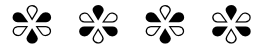

النافذة الثانية: العِرافة

تعريفها: هي ادّعاءُ علمِ الغيب في الأمور الماضية. قال الخطّابي وغيرُه: العرّافَ: هو الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق ومكان الضّالّة ونحوهما.

والعِرافة تشترك مع الكَهانة من جهة ادعاء علم الغيب في كل منهما، وتفترق عنها من جهة أنّ الكهانة فيها ادّعاءٌ لعلم الغيب في الأمور المستقبلية، وأمّا العِرافة ففيها ادعاءٌ لعلم الغيب في الأمور الماضية، كمن سُرق مالُه أو خُطف ولدُه فيأتي العرّاف طالباً منه الكشف عن مكان المال أو الولد، وهو ما يُعرف في أيامنا هذه بضرب المندل. والأمور الماضية سُمّيت غيباً باعتبار غياب علمها عن الأكثر، وإن كان البعضُ قد يعلمها أحياناً، وهو المباشر لها؛ كالسارق والخاطف وشركائهما.

والعِرافة من الأمور الباطلة التي كذّبها الإسلام ونهى عنها.

والعَرّاف، وإن أصاب في بعض الأحيان النادرة، فإنه يُخطئ في معظمها. والسرّ في ذلك: أن دعواه معرفة مكان المسروق أو المخطوف، يعتمد فيها على إخبار الجنّ له بذلك، والجنّ لا يعرفونه.

فالعَرّاف يتعامل مع الجنّ ويتصل بهم؛ فإذا سُئل العرّاف عن شيء مسروق اتّصل بأوليائه من الجنّ فسألهم، وهم لا يعلمون عن مكان المسروق شيئاً إلا ما وصل إلى علمهم عن طريق البحث والتحرّي، شأنُهم شأن الإنس في ذلك. فإن جهلوا مكان المسروق، لم يعترفوا بعجزهم، بل يكذبون في بيان الموضع، ويذكرون أوصافاً مشتركة، تنطبق على مواضع كثيرة لا يمكن حصرها أو الإحاطة بها.

❋ ❋ ❋

كذب الجنّ في ادّعاء الغيب

وادّعاء الجنّ لعلم الغيب أمرٌ قديم، وقد كذّبهم الله تعالى في ذلك، واختبرهم بأمر أظهر فيه عجزَهم وكذبهم.

وملخصّ ما اختبرهم الله تعالى به: هو ما قصّه علينا في القرآن الكريم في كيفية موت نبي الله سليمان

عليه السلام، فقال تعالى في ذلك: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾[1].

ففي هذه الآية الكريمة يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عمَّى الله موتَه على الجنّ المسخّرين له في الأعمال الشاقّة. إذ مكث، وهو ميّت، متوكئاً على عصاه ـ وهي مِنْسَأته كما قال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغير واحد ـ مدة طويلة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابّةُ الأرض، وهي الأرَضة، ضعُفت وسقط إلى الأرض، وعُلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، فحينها تبيّنت الجنّ والإنس أيضاً: أن الجنّ لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهّمون ويُوهمون الناس ذلك.

وقال السُّدِّي، في حديث ذكره عن أبي مالك، عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قال: كان سليمان يتحرّر[2] في بيت المقدس السّنة والسّنتين والشّهر والشّهرين، وأقلّ من ذلك وأكثر، يدخل طعامه

(١) سورة سبأ، الآية: ١٤.

(٢) أي: يعتكف فيه.

وشرابه؛ فأدخله في المرّة التي تُوفّي فيها، وكان بَدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة، فيأتيها فيسألها، فيقول: ما اسمك؟ فتقول: اسمي كذا وكذا. فإن كانت لغرس غرسها، وإن كانت نبْتَ دواء، قالت: نَبَتُّ دواءً لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها: الخرّوبة، فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخرّوبة. قال: ولأي شيء نَبَتِّ؟ قالت: نبتّ لخراب هذا المسجد. قال سليمان: ما كان الله ليُخَرِّبه وأنا حيّ؟ أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائط له، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه، فمات ولم تعلم به الشياطين، وهم في ذلك يعملون له، يخافون أن يخرج فيعاقبهم. وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه. فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جلداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر. فدخل شيطان من أولئك فمرّ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق. فمرّ ولم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق. ونظر إلى سليمان عليه السلام، قد سقط ميتاً. فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات. ففتحوا عنه فأخرجوه، وَوَجدوا منسأته ـ وهي: العصا بلسان

الحبشة ـ قد أكلتها الأرَضة، ولم يعلموا منذ كم مات؟ فوضعوا الأرَضة على العصا، فأكلت منها يوماً وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة، فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب، لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب يعملون له سنة. وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: وهذا الأثر ـ والله أعلم ـ إنما هو مما تُلُقِّي من علماء أهل الكتاب، وهي وَقْفٌ، لا يُصدّق منها إلا ما وافق الحق، ولا يُكذّب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدّق ولا يكذّب.

فمن هذه القصة تبيّن لنا أن الجن لم تعلم بموت نبي الله سليمان عليه السلام إلا بعد سنة من وقوعه. ومع هذا سمّى الله تعالى موته غيباً رغم أنه وقع في الزمن الماضي، باعتبار عدم اطلاع أحدٍ على موته. ثم نفى سبحانه قدرة الجنّ على علم الغيب، وإذا عجزت الجنّ عن علم حدث قد وقع، فمن باب أولى عجزهم عن علم حدث لم يقع بعد.

❋ ❋ ❋

قصة واقعية

خُطفت بنتٌ في بلدنا منذ حوالي شهر، فاتّصلت بي امرأة من طرَف أمّ البنت المخطوفة، وقالت لي: يا شيخ، لقد ذهبت أمُّ البنت المخطوفة إلى كثير من المشايخ، وطلبت منهم أن يضربوا لها مندلاً، ليكشفوا عن مكان ابنتها. فكانوا يقولون لها بعد الكشف: أن ابنتها في المكان الفلاني، فتذهب إليه فلا تجد أحداً. حتى سئمت من هؤلاء ومن كذبهم، وأرسلت إليك تقول بأن هؤلاء المبتدعة لم يستطيعوا أن يكشفوا عن مكان ابنتي، فهل هناك طريق شرعي تعرف به مكان ابنتها، كأن تبيّت استخارة أو نحواً من هذا؟ فقلت لها: عليها أن تعلم بأنّ الإنسان المسلم مبتلى، لذلك عليه أوّلاً إذا أُصيب بمصيبة أن يصبر ويحتسب، ويفوّض الأمر إلى الله تعالى؛ كما عليه أن يسعى بالوسائل المشروعة كالبحث والتحرّي والاستقصاء، مستعيناً بالله تعالى في أمره كله.

وأما الطرق غير الشرعية، كضرب المندل ونحوه، فهي باطلة ولا تفيد شيئاً. وهذا نبيّ الله يعقوب عليه السلام، فَقَدَ ابنَه يوسف عليه السلام وبقي غائباً عنه مدّةً لا تقلّ عن عشرين سنة. فلو كانت هناك وسيلة شرعية

يمكن بها معرفة مكان المفقود لاتّبعها. ولكنه لم يفعل، بل صبر لأمر الله، وفوّض أمره إليه، ولجأ إليه، حتى ردّ الله عليه ابنَه، فما على هذه الأم إلا الصبر واللجوء إلى الله وحده. ثم بلغني بعد هذا الاتصال التلفوني أن البنت وُجدت وعادت إلى أمّها سليمة، ولله الحمد.

❋ ❋ ❋

حكم إتيان الكهنة والعرّافين

بيّن النبي عليه الصلاة والسلام أنّه لا يجوز للإنسان المسلم أن يأتي الكهنة ولا العرافين، ولا يسألهم عن شيء، لأنهم يدّعون علم الغيب كذباً وافتراءً.

يقول النبي ﷺ في حديث أخرجه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عَنْ صَفِيَّةَ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَتَى عَرَّافاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[1]، أي: إذا أتى عرّافاً، فقال له: اكشف لي عن مكان مالي الضائع، لم تقبل صلاتُه أربعين ليلة. فهذه العقوبة لمجرّد أنه سأله الكشف؛ فإذا

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٩٥٧).

دلّه العرّاف على مكان فصدّقه، فالعقوبة أعظم.

قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث رواه أصحاب السنن عن أبي هريرة: «**من أتى كاهناً أو عرّافاً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمّد**»[١].

ففي هذين الحديثين نهي شديد عن إتيان العرّافين والكُهّان فضلاً عن تصديقهم.

ولا عجب أن شدّد الإسلام في النهي عن هذا الأمر، لأن إتيان هؤلاء وتصديقهم يؤدي إلى الاعتقاد بأنهم يعلمون الغيب، وهو تكذيب لما أخبر الله تعالى به في كتابه الكريم: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾[٢].

(١) أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٤).
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٥.

النافذة الثالثة: التنجيم

تعريفه: هو ادّعاء معرفة الأمور الغيبيّة عن طريق النجوم.

أنواع التنجيم وأحكامها:

التنجيم الذي يتعاطاه الناس ثلاثة أنواع[١]:

الأول: التنجيم الذي هو اعتقاد أن النّجوم فاعلة مؤثرة بنفسها، وأن الحوادث الأرضية منفعلة ناتجة عن النجوم وعن إرادات النجوم. وهذا تأليه للنجوم، وهو الذي كان يصنعه الصابئة، ويجعلون لكل نجم وكوكب صورةً وتمثالاً، تحلّ فيها أرواح الشياطين، فتأمر أولئك بعبادة تلك الأصنام والأوثان. وهذا بالإجماع كفر أكبر، وشرك كشرك قوم إبراهيم.

واعلم أن النّجوم لا علاقة لها بمثل تلك الأمور،

(١) كذا فصّلها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ.

بل كل ذلك بقدر الله ومشيئته، وكل الحوادث الأرضية من عند الله، لا دخل لأحدٍ من المخلوقات فيها، فهي فوق تصوّر المخلوق وطاقته. ولهذا جاء في حديث زيد بن خالد الجُهني في غزوة الحديبية، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ[١] كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ. فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**[٢]**، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»[٣].

أي: من نسب الفضل والإرادة في نزول المطر إلى الكوكب، فقد كفر بالله، وآمن بالكوكب. وأما من نسب الفضل والإرادة في ذلك إلى الله وحده، فقد آمن بالله وكفر بالكوكب.

---

(١) السماء: المطر.

(٢) أي: أن السبب في المطر هو النجم الفلاني أو الكوكب الفلاني.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (٢٤٠).

النوع الثاني من التنجيم: هو ما يسمّى علم التأثير، وهو الاستدلال بحركة النّجوم والتقائها وافتراقها، وطلوعها وغروبها، على ما سيحصل في الأرض، فيجعلون حركة النجوم دالّة على ما سيقع مستقبلاً في الأرض. فيقولون مثلاً: إذا اقترن النّجم الفلاني بالنّجم الفلاني، سيحدث في الأرض كذا وكذا. كما يستدلون بولادة إنسان في برج معيّن على أنه يكون سعيداً أو شقيًّا. والذي يفعل هذه الأشياء ويستدل بها، يقال له: المنجّم، وهو من أنواع الكهان؛ لأنه يُخبر بالأمور المغيّبة عن طريق الاستدلال بحركات الأفلاك وتحرّك النجوم. وهذا النوع محرّم وكبيرة من الكبائر، وهو نوع من الكهانة، وكفر بالله جل وعلا، لأنّه اتخذ تعلم النّجوم وسيلة لادّعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة؛ لأن الله يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[1]، وهذا من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه بالنفي والإثبات، فإذا ادّعى أحدٌ علمَ الغيب؛ فقد كذّب القرآن.

وهؤلاء تأتيهم الشياطين، فتوحي إليهم بما يريدون

(١) سورة النمل، الآية: ٦٥.

وبما سيحصل في المستقبل، ويجعلون حركة النجوم دليلاً على ذلك.

وقد قال ﷺ في ذمّ هذا العلم: «**من اقتبس علماً من النّجوم اقتبس شُعبة من السحر زاد ما زاد**»[1]، أي: كما أنّ السحر مذموم، فتعلم التنجيم مذموم، وكلما زاد من هذا التعلم، فإنه يزيد في السحر.

❋ ❋ ❋

كذبُ المنجّمين

وقد ظهر كذبُ المنجّمين في أشياء كثيرة من الواقع؛ ومنها على سبيل المثال:

لمّا حاصر المعتصم بالله عمّورية، واستشار المنجّمين في فتحها، زعموا له أنّها لا تُفتح في ذلك الوقت، وأفاضوا في هذا، حتى شاع وصار أُحدوثة بين الناس. فلم يبالِ بهم المعتصم، بل أصرّ على مقارعتها حتى فتحها، وظهر للناس كذبُ المنجّمين.

---

(١) أخرجه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن عباس، وحسّنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥).

ومدحه الشاعر أبو تمام بقصيدة مشهورة، واستهزأ فيها بالتنجيم والمنجّمين، فقال:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ
في حدهِ الحدّ بينَ الجدِّ واللَّعبِ
بيضُ الصَّفائحِ لَا سودُ الصَّحائفِ في
مُتُونِهِنَّ جلاءُ الشَّك والرِيَبِ
والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً
بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الروايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا
صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ
تخرُّصاً وأحاديثاً ملفَّقةً
لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ
عجائباً زعموا الأيَّامَ مُجْفَلةً
عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفَار أَوْ رَجَبِ
وخَوَّفُوا الناسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ
إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنبِ
وصيَّروا الأبراجَ العُلْيا مُرتَّبةً
مَا كَانَ مُنْقَلِباً أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ
يقضون بالأمر عنها وهي غافلة
ما دار في فلك منها وفي قُطُبِ

لـو بـيَّـنـت قـطّ أمـراً قـبـل مـوقـعـه
لـم تُـخْـفِ مـا حـلَّ بـالأوثـان والـصـلُـبِ

❋ ❋ ❋

حكم الأبراج

وممّا يدخل في هذا النّوع من التنجيم في هذا العصر: ما ينتشر في الفضائيات والجرائد ممّا يسمّونه الأبراج. فيخصّصون صفحة أو أقل منها في الجرائد، ويجعلون عليها رسم أبراج السنة: برج الأسد، والعقرب، والثور... إلى آخره، ويجعلون أمام كل برج ما سيحصل فيه. فإذا كان الرجل أو المرأة مولوداً في ذلك البرج، قالوا: سيحصل لك في هذا الشهر كذا وكذا.

فهذا منكر، ويجب على المسلم أن لا يطلع عليه؛ لأن الاطلاع على تلك الأبراج وما فيها تدخُل في باب سؤال الكاهن، «**ومن سأل كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**». فإن صدّق بما في تلك الأبراج، فقد كفر بما أنزل على محمد، كما سبق وبيّنا ذلك.

النوع الثالث من التنجيم: ما يسمّى بعلم التسيير، وهو أن يتعلم منازل النّجوم وحركاتها، لأجل أن يعلم

القبلة، والأوقات، وما يصلح من الأوقات للزرع وما لا يصلح، والاستدلال بذلك على وقت هبوب الرياح، وعلى الوقت الذي جرت سنَّة الله ألا ينزل فيه من المطر كذا، ونحو ذلك، فهذا يسمّى علم التسيير، وقد رخّص فيه بعض العلماء. وسبب الترخيص فيه: أنه يجعل النّجوم وحركتها، والتقاءها وافتراقها، وطلوعها أو غروبها، يجعل ذلك وقتاً وزمناً، لا يجعله سبباً، فيجعل هذه النّجوم علامة على زمن يصلح فيه كذا وكذا. والله جلّ وعلا جعل النّجوم علامات، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ١٦﴾[1]. فهي علامة على أمور كثيرة، كأن يعلم مثلاً: أنّه بطلوع النجم الفلاني يدخل وقت الشتاء، فدخول الوقت ليس بسبب طلوع النّجم، ولكن حين طلع، استدللنا بطلوعه على دخول الوقت. فإذا كان على ذلك فلا بأس به قولاً أو تعلماً؛ لأنه يجعل النّجوم وظهورَها وغروبَها أزمنةً، وذلك مأذون به.

قال البخاري في صحيحه[2]: وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ،

(١) سورة النحل: ١٦.

(٢) البخاري: بدء الخلق: باب في النجوم.

جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ.

فقول قتادة رحمه الله: «خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين...»، يستدل له بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥﴾[1]. وقول قتادة: «... وعلاماتٍ يُهتدى بها»، يستدل له بقوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۝١٦﴾[2]، فهي علامات يُهتدى بها إلى معرفة الجهات، كجهة القبلة، وجهة الشمال، وجهة الغرب، وجهة الشرق. ويُهتدى بها أيضاً إلى معرفة أماكن البلاد والقرى، حيث يعرف أنّ البلدة الفلانية باتجاه النّجم الفلاني؛ فإذا أراد السائر ليلاً في البرّ أو في البحر أن يتّجه إلى بلدٍ معيّن، استدلّ واهتدى بالنّجوم. وقوله أخيراً: «... فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلّف ما لا علم له به». وهذا صحيح؛ لأن النّجوم خَلق من خَلق الله، ولا نفهم سرّها إلا بما أخبر الله ـ جل وعلا ـ به، فما أخبرنا به

(١) سورة تبارك: ٥.

(٢) سورة النحل: ١٦.

أخذناه، وما لم نخبَر به فلا يجوز أن نتكلف فيه. ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا ذُكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذُكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذُكر القدر فأمسكوا**»[١]، أي: إذا ذُكر أصحابي في غير ما جاء به الدليل، من فضلهم وحسن صحبتهم وسابقتهم ونحو ذلك، فأمسكوا. وإذا ذكرت النّجوم وما فيها بغير ما جاء فيه الدليل، فأمسكوا؛ لأن ذلك ذريعة لأمور محرّمة. وكذلك إذا ذُكر القدر في غير ما جاءت به الأدلة فأمسكوا[٢].

❀ ❀ ❀ ❀

(١) أخرجه الطبراني وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤).

(٢) انظر كتب صالح آل الشيخ: باب ما جاء في التنجيم.

الخاتمة

كان الناس منذ قديم الأزمان ولا يزالون يتطلّعون إلى معرفة الغيب. واعتمدوا في ذلك على وسائل كثيرة. فلمّا جاء الإسلام أبطل كلّ ما اعتمدوا عليه، وبيّن أنه لا يغني من علم الغيب شيئاً. واستثنى الإسلام بعض الوسائل، وأظهر بأنّها تدلّ على شيء من الغيب، ولكن ضمن شروط ومواصفاتٍ وضّحناها في طيّات هذه الرسالة، وهي: الرؤيا الصالحة، والإلهام، والفراسة.

غير أنّ هذه الوسائل، وإن كانت نوافذ صحيحة في إطلالها على بعض الغيب، إلا أنّها ليست معصومة، والخطأ واردٌ عليها. فقد تختلط الرؤيا الصالحة عند الرائي بأضغاث الأحلام، فلا يميّز بينهما. كما قد يخفى عليه تفسير الرؤيا الصالحة وتعبيرها. وكذا الحال في الإلهام، إذ قد يختلط الإلهام عند الإنسان بوسواسٍ من الشيطان أو بخاطرٍ من النفس، حتى يعسر عليه التفريق بينهما. والشأن ذاته في الفِراسة، فقد تتداخل الفراسة

عند الشخص مع الظنّ الخطأ أو الوهم السيئ.

لذلك لا يمكن القطع بالنتائج التي ترتبت على هذه الوسائل. كما لا يمكن اعتبارها بحالٍ دليلاً شرعيًّا، بل لا بدّ من عرضها على الشّرع، فإن وافقت الشرع قُبلت، وإن خالفته رُدّت.

وأضرب على هذا مثالاً واحداً:

قال الإمام النووي رحمه الله: لو كانت ليلة الثلاثين من شعبان، ولم يرَ الناسُ الهلال. فرأى إنسان النبيّ ﷺ في المنام، فقال له: الليلة أوّل رمضان. لم يصحّ الصوم بهذا المنام، لا لصاحب المنام ولا لغيره، ذكره القاضي حسين في الفتاوى وآخرون من أصحابنا، ونقل القاضي عياض الإجماع عليه، وقد قررتُه بدلائله في أول شرح صحيح مسلم. ومختصره: أن شرط الراوي والمخبِر والشاهد أن يكون متيقّظاً حال التحمّل، وهذا مجمع عليه. ومعلوم أن النّوم لا تيقّظ فيه، ولا ضبط. فتُرك العملُ بهذا المنام لاختلال ضبط الراوي، لا للشكّ في الرؤية، فقد صحّ عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**من رآني في المنام فقد رآني حقًّا؛ فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي**»، والله تعالى أعلم[1].

(١) مختصر المجموع شرح المهذب (١٣٤٦/٣).

وفي الختام؛ نسأل الله تعالى أن يجعل كتابنا هذا في ميزان حسناتنا يوم القيامة، وأن يرزقنا به حسن القبول، إنه سميع مجيب.